الخلافة الراشدة الموعودة

والتحديات

حمد فهمي طبيب

كتاب الوعي (٥)

الطبعة الأولى

رجب ١٤٢٨هـ - آب ٢٠٠٧م

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [التوبة ٣٢-٣٣] صدق الله العظيم.

وروى تميم الداري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل، عزاً يعز الله به الإسلام وذلاً يذل الله به الكفر**» أخرجه أحمد.

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء...

إلى أول خليفة يرفع بيده الطاهرة لواء العزة في عاصمة الخلافة الراشدة الثانية على منهاج النبوة، وهو يردّد قوله تعالى: ﴿ **وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾** ﴾ [الإسراء ٨١].

إلى كل من عرفوا معنى الخلافة وقيمتها في حياة الأمة، والثواب العظيم المترتّب عل إعادتها، فعملوا لإعادتها استجابة لنداء ربّهم عزّ وجل ﴿ **وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾** ﴾ [آل عمران ١٠٤] فاستحقوا بإيمانهم وإخلاصهم وعملهم المتواصل وعد الله تعالى، فصدق فيهم قوله تعالى: ﴿ **وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ** ﴾ [النور ٥٥].

إلى أبناء الأمة الإسلامية جميعاً وهم يفرحون بعودة الخلافة الموعودة بإذن الله قريباً، فيصدق فيهم قوله تعالى: ﴿ **وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾** ﴾ [الروم ٤-٦].

إلى كل هؤلاء أهدي هذا الكتاب سائلاً المولى عز وجل أن يكرمنا بالفرحة الكبرى، بتحقق وعده تعالى، وبشارة رسوله عليه الصلاة والسلام..

حمد فهمي طبيب

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

لقد كان أعظم حدث في تاريخ البشرية، منذ آدم عليه السلام حتى بداية السنة الأولى من هجرة المصطفى عليه الصلاة والسلام إلى لمدينة المنورة بعد بعثة الرسول ﷺ، هو قيام دولة الإسلام، حيث كان هذا الحدث الجلل بمثابة الهزّة القويّة التي ارتجّت لصداها الكرة الأرضية بمن عليها من بشر!!.

وسيكون قيام الخلافة الإسلامية الراشدة الثانية الموعودة هو أعظم حدثٍ منذ ذلك العصر الزاهر حتى يومنا هذا، وسيكون لقيامها الهزّة نفسها التي حدثت عند قيام الدولة الإسلامية الأولى ليصل صدى ذلك كلَّ إنسانٍ على ظهر هذه البسيطة.

لكن هذا الحدث الجلل الفريد من نوعه لنْ يسلم من تحدّياتٍ تواجهه في بداية الأمر، تماماً كما لم يسلم من قبلُ من تحدّيات وصعوبات كبيرة وقفت في طريقه قبل تحققه وقيامه، ومولده ورؤيته للنور.

فأي فكرة جديدة يُراد إيجاد واقعٍ عمليّ لها، أو يُراد بها تغيير الواقع من عادات وأفكارٍ، لن تسْلم من تحدّياتٍ جسام تواجهها، فكيف إذا كان هذا الأمر هو مولد دولة الإسلام التي يخشى منها كلّ أبناء الكفر، وجميع دوله وكياناته الماديّة على وجه الأرض؟!

فالأنبياء والرسل قد واجهوا من التحدّيات ما تنوء به الجبال الراسيات، وذلك في مواجهتهم للواقع الفاسد بالفكر السديد الرشيد، وكان

أعظم هؤلاء الأنبياء مواجهةً هو رسول هذه الأمة محمد ﷺ.

فقبل الدولة الإسلامية، وأثناء مرحلة الدعوة، واجه الرسول عليه الصلاة والسلام تحدّياتٍ عظيمة، فاستطاع بإيمانه وصبره مع صحابته رضوان الله عليهم، وبعون الله لهم، أن يتجاوزها إلى البرّ، لكن هذا البرّ لم يكن آمناً ومفروشاً بالورود، رغم أن القائد هو خير البشر، ومعه خيرهم من الناس على وجه الأرض.

فالرسول عليه الصلاة والسلام تعرض لمحاولة الاستئصال أكثر من مرّة في المدينة المنورة، في معركة بدر الكبرى، وفي معركة الخندق، وتعرض أيضاً للاستعداء من قبل قريش ومعها قبائل العرب المحيطة بالمدينة، وتعرض لمحاصرةٍ اقتصاديةٍ واستعداءٍ فكريٍّ بكافّة أشكاله.

وتعرّض الرسول كذلك لصعوبات وتحدّيات داخليّة مثل مسألة توفير الغذاء، وتوفير السلاح، والعمل على استقرار الوضع الداخلي، وعملية الدمج القبلي في بوتقة الإسلام، وحلّ بعض ألوان الفساد القديم، وغير ذلك من صعوبات. ولولا أن الله عزّ وجل دافع عن هذه الثلة المؤمنة ومعها خير الأنبياء لاستؤصلت عن وجه الأرض إلى غير رجعة.

وقبل أن نبدأ بعرض نماذج للتحدّيات والصعوبات التي ستعترض وستقف أمام الدولة الإسلامية الموعودة، لا بدّ أن نلفت انتباه حملة الدعوة إلى قضيةٍ مهمّةٍ، وهي أن الخلافة وطريقها بعد قيامها لن يكون مفروشاً بالورود والرياحين، بل إن الأمر سيكون جللاً، وستكون التحديات عظيمة بقدر عظمة هذا الحدث العظيم، وعظم خطورته على أنظمة الكفر ومبادئه، ودوله الهابطة.

ولا نبالغ إن قلنا إن ردّة الفعل عند دول الكفر ستكون بمثابة المدافع عن نفسه من الموت والمحافظ على ذاته للبقاء؛ أي أنها ستكون صريحة متحدّية وقاسية في جميع السبل المتاحة لدى الكفار، وعلى أكثر من صعيد.

وهذا العرض لواقع التحديات وعِظَمها وقساوتها ليس معناه انحناء الدولة، أو التقليل من قدرتها على الصمود، ولكن معناه الإعداد المسبق والاستعداد، ووضع الخطط الفكريّة العمليّة التي تعيننا على ذلك الحدث العظيم وما يواجهه من مخاطر وتحديات، تماماً كما أعدّه حملة الدعوة من قبل، معناه الدراسة الفكريّة الكاملة في أدق التفاصيل لكيفية العمل قبل الدولة، والدستور الذي ستحكم به الدولة بنظمه السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها.

فالتحديات والصعوبات المتوقعة بعد الدولة لا تقل أهميّة عنها قبل الدولة، بل إنها ـ كما قلنا ـ قد تفوق التحديات السابقة كمّاً وكيفاً.

أما التحدّيات التي ستواجه الدولة الإسلامية فهي نوعان، يتفرع عن كل نوع منها فروع، سنحاول بقدر الإمكان ذكرها بشيء من البيان والتفصيل، ثم ذكر ما توصل إليه اجتهادنا للوقوف والتصدّي والمواجهة، ومن ثم التغلب عليها والانتصار على من يقف وراءها من قوى الشرّ والعدوان.

وأول هذه التحديات هي التحديات الخارجيّة، وهي تنحصر في ثلاثة تحديات رئيسة:

الأول: الحرب الماديّة بكافّة أنواعها وأشكالها وما يتفرع عنها.

الثاني: سياسات التشويه والتضليل والحرب الفكرية بكافّة ألوانها.

الثالث: الحصار بكل أنواعه السياسي والفكري والاقتصادي.

أما ثاني هذه التحديات والصعوبات فهي التحدّيات الداخليّة؛ وهي الصعوبات التي تواجه الدولة والقائمين على رعاية أمورها، وتواجه الرعيّة بشكل عام داخل سلطان هذه الدولة. وهذا النوع من التحدّيات منه ما هو مرتبط بالخارج مثل العملاء السياسيين من الإرث السابق، ومنها ما يرتبط بمحدوديّة الإمكانات مقارنة مع عظم التحدّيات، ومنها ما يكون مرتبطاً بدرجة الوعي والإدراك عند الأمة، إلى غير ذلك من دواعي هذه الصعوبات وأسبابها.

وبشكل إجمالي يمكن حصر التحديات الداخلية في خمسة أمور يتفرع عنها أشكال أخرى متصلة بها وتابعةٌ لها وهي:

١ـ عملية التعبئة الفكرية والمعنوية لمواجهة حملات الحرب بأنواعها.

٢ـ محدودية الإمكانات مقارنة مع عظم التحديات الداخلية والخارجية، ويتعلق بهذا الأمر موضوع التسلح والإعداد العسكري.

٣ـ التطبيق الانقلابي للإسلام وما يواجهه من صعوبات داخلية في بداية الأمر.

٤ـ محاربة الواقع الفاسد القديم، والعمل على تغيير ألوان الفساد بكافة أشكالها السياسية والاقتصادية والاجتماعية. وهذا الأمر يتفرع عنه أربع نقاط هي:

١) التعليم والمناهج.

٢) الإعلام.

٣) النقد والعملات المتداولة.

٤) الشخصيات الإداريّة وأصحاب الوظائف الحساسة، وما يستتبع ذلك من الفساد الذي ورثه النظام الفاسد القديم في القضايا والمحاكمات أو الأموال.

هذه أبرز التحدّيات والصعوبات الخارجية والداخلية التي ستواجه الدولة. وسأتناول موضوعها بالبحث والتحليل والشرح، وأضع أمامها الحلول الشرعية التي تعالجها إن وجد لها حلول شرعيّة مستنبطة من الأدلة التفصيلية، أو أحاول وضع حلول سياسية رعويّة تتعلق بالأساليبِ والوسائل.

وهذا الأمر ـكما ذكرتـ هو من باب الاستعداد والأخذ بالأسباب، مع إيماننا يقيناً أن النصر في النهاية هو حليف أمة الإسلام برعاية دولة الإسلام ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ۝٣٨ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ۝٣٩﴾ [الحج ٣٨ـ٣٩]، ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٤٧﴾ [الروم ٤٧] ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةً وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ۝٥ وَنُمَكِّنَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [القصص ٥ـ٦] ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ۝٥١﴾ [غافر ٥١] ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنًاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ۝٥٥﴾ [النور ٥٥].

نسأله تعالى أن يكون هذا علماً جديداً يضاف إلى ذخيرة حملة الدعوة

لإعمال عقولهم وفكرهم أولاً للإبداع والبحث في هذا الموضوع المهم الحسّاس، كما نسأله تعالى أن يوفّقنا إلى الصواب في الاجتهاد، وأن ينفع بهذا العلم إخواننا من حملة الدعوة في هذه المرحلة، وبعد قيام دولة الخلافة الإسلامية الراشدة الثانية الموعودة قريباً إن شاء الله.

التحدّيات الخارجية:

أولاً: الحرب المادية.

إن أول التحدّيات وأعظمها ضدّ الخلافة الإسلامية الموعودة هي الحرب الماديّة بكافّة أشكالها وألوانها.

وقبل البدء بذكر أشكال من هذه الحرب وطرق التصدي والصمود في وجهها، لا بدّ من التعريج قليلاً على مسألة الحرب على أمة الإسلام من قبل الكفر بشكل عام. ولبيان ذلك بإيجاز نذكر بعضاً من الأخبار الإلهيّة القطعيّة، وبعضاً من وقائع التاريخ التي صدّقت هذه الأخبار.

فالله سبحانه وتعالى قد ذكر الآيات الكثيرة التي تصف عداوة الكفر للمسلمين وتحذّرهم من هذه الملة الخبيثة. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُواْ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾﴾ [البقرة ٢١٧] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الأنفال ٣٦] وقوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُواْ وَٱصْفَحُواْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾﴾ [البقرة ١٠٩] وقوله تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ

مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾ [البقرة ١٢٠] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْكَـٰفِرِينَ كَانُوا۟ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠١﴾﴾ [النساء ١٠١].

فهذه الآيات، وأمثالها الكثير في كتاب الله، تدلّ دلالةً صريحةً على عداوة الكفّار للإسلام، وحرصهم على رد المسلمين كفاراً، وإنفاقهم الأموال من أجل ذلك، وتدلّ كذلك على استمراريّة هذه الحرب والعداوة حتى يرث الله الأرض ومن عليها. ولا تنتهي إلاّ بأحد أمرين: إمّا دخول الكفار في الإسلام، أو ارتداد المسلمين عن دينهم ليصبحوا كفاراً مثلهم.

وقد صدّقت وقائع التاريخ ـمنذ عهد الرسول عليه الصلاة والسلام وبعده عبر العصور الإسلامية حتى يومنا هذاـ هذه الأخبار القطعيّة الصريحة؛ ففي عهد الرسول عليه الصلاة والسلام حاول الكفار قتله، قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنفال ٣٠]، وعملوا على تضييق الخناق عليه من أجل ردّه عن دينه هو وأصحابه من المؤمنين. وبعد إقامة الدولة حاولوا استئصال دعوته ﷺ عن وجه الأرض في حروبٍ دموية متعاقبة في بدر وأحد والخندق... وبعد عهد الرسول عليه الصلاة والسلام، استمر هذا العداء من قبل الفرس والروم والملل الأخرى في حروب لم تهدأ عبر التاريخ الإسلامي.

وهكذا هي الحال اليوم؛ حربٌ شعواء على الإسلام والمسلمين المخلصين لردّهم عن هدفهم، بل عن دينهم. ولن تكون هذه الحرب أقلَّ ضراوةً عند إقامة الدولة الإسلامية، ولن تفرش طريق الدولة بالزهور والرياحين كما يتصور البعض، بل إن الحرب ستكون شديدةً وضارية.

ولن يقف الغرب الكافر ـ خاصّة ـ مكتوف الأيدي، ينظر إلى هذه الدولة الوليدة الناشئة، وهي تتقوّى ويشتدّ عودها يوماً بعد يوم؛ لأن الغرب، وبخاصة أوروبا، يدرك تمام الإدراك معنى الدولة الإسلامية، وأهدافها، وتأثيرها على مبدأ الغرب، وعلى بلاده، وعلى مصالحه و مصيره.

فقيام الدولة الإسلامية يعني قيام قوة على أساس العقيدة الإسلامية، تطبّق أحكام الإسلام في الداخل، وتعمل على توحيد بلاد المسلمين قاطبة، وتعمل على قطع دابر الكفار، ومناطق نفوذهم، وتعمل كذلك على حمل الإسلام رسالةً تتحدّى كل مبادئ الكفار.

وقيام الدولة الإسلامية يعني القضاء على النظام الرأسمالي الكافر الذي يتغطّى بعباءته العفنة الفاسدة قادة الرأسمالية، من أصحاب الشركات الكبرى والحكام، ويستعبدون الشعوب ويمصّون دماءهم تحت شعار الحريّة والديمقراطية وحقوق الإنسان.

إن الكفار ـ وبخاصة الغرب منهم ـ يدركون إدراكاً جيداً معنى قيام دولة إسلامية أكثر مما يدركه كثير من أبناء المسلمين، ولن يغيب عن عقولهم حروب البلقان وحصار فينّا، ومعركة بلاط الشهداء على أبواب فرنسا، وفتح القسطنطينية... وغيرها.

لذلك سيقفون في وجهها بكلّ ما أوتوا من قوّة وحيلة كي يعملوا على هدمها وإزالتها من الوجود ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً ـ ولن يستطيعوا بإذن الله ـ قال تعالى: ﴿ **وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾** ﴾ [الأنفال ٣٠]، ﴿ **يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾** ﴾ [التوبة ٣٢].

أشكال الحرب المادية للكفار

عملاء الكفار من الحكام

إن الدولة الإسلامية كما تعمل على هدم الكفر ومبادئه وأشكاله الاستعمارية في بلاد المسلمين، فإن أول أعمالها هو إزالة العملاء السياسيين من الحكام وأعوانهم؛ لذلك فإن دول الكفر ستستغل هذه النقطة استغلالاً جيداً؛ لأن المسألة بالنسبة للعملاء هي مسألة مصير، تماماً كما هي بالنسبة لأسيادهم الكفار.

فأول الأخطار التي تهدّد الدولة الإسلامية هم العملاء السياسيون من الحكام، وخاصةً من الدول المجاورة. وسيعقدون تحالفاتٍ عسكريةٍ لهذه الغاية بغضّ النظر عن ولاءاتهم السياسية لأميركا أو لدول أوروبا، والسببُ هو أن المصير واحد والعدوّ مشترك، وسيحاولون بهذه التحالفات والجيوش مهاجمة الدولة الإسلامية للقضاء عليها قبل اشتداد عودها ووقوفها على أقدامها.

القواعد العسكرية

استغلال القواعد العسكرية القريبة، والتحرك سريعاً لمساعدة الحكام العملاء في الحرب ضد هذه الدولة، وذلك مثل قاعدة الظهران في السعودية، أو قاعدة الخفجة، أو القواعد الموجودة في الأردن، أو القواعد الموجودة في النقب. فهذه القواعد ستُسْتغلُّ استغلالاً كبيراً نظراً لقربها ولسرعة التحرك

من خلالها. وليس غريباً ولا مستهجناً أن تقوم أميركا بين الفينة والأخرى هذه الأيام بإجراء مناوراتٍ مشتركة مع العملاء وجيوشِهم من خلال هذه القواعد. فهذه المناورات هي مقدّمات لأي طارئٍ يحصل من هذا القبيل.

تحالف عسكري دولي

الإعدادُ لتحالفٍ عسكريٍّ دوليٍّ إن استعصى الأمر على الحكام من عملاء الغرب وعلى الضربات العسكريّة السريعة. بمعنى آخر تجييش دول العالم من الكفار لضرب هذه الدولة، واستصدار قرارات دولية، وترتيب أحلافٍ عسكرية. والحقيقة، إن مسألة ترتيب الأحلاف العسكرية لمواجهة أي طارئ قد بدأ بها الغرب منذ عقود مضت، حيث عقد عدة اتفاقات سرية في منظومة حلف الأطلسي، وعقدت أميركا اتفاقات مع روسيا في مؤتمر طشقند ومع الصين كذلك، منذ فترة قريبة حين أحسّت بالخطر الإسلامي في وسط آسيا.

وهذا يذكرنا باجتماع دول الكفر من أوروبا وروسيا ضدّ الدولة الإسلامية في آخر عهدها أيام العثمانيين، ويذكرنا كذلك باجتماع قريش وقبائل العرب من قبل على إزالة الدولة الإسلامية الأولى (في المدينة المنورة) من الوجود.

هذه هي السيناريوهات الحتميّة الوقوع في حال قيام الدولة الإسلامية، ولن يتوانى الغرب ـ كما ذكرنا ـ في حرب هذه الدولة، ولن يقف مكتوف الأيدي، مكبّل الأرجل، ينظر إلى الخطر يزحف نحوه.

أما كيف تواجه الدولة الإسلامية ورعاياها هذه التحدّيات الأوليّة،

فيمكن إجمالها ضمن النقاط الآتية:

١) التعبئة العامة الماديّة والمعنويّة.

٢) الإبداع في المناورات السياسيّة ومواجهة الأزمات.

٣) حسن المخاطبة للشعوب، سواء في بلاد المسلمين أم في بلاد الكفار.

فهذه ثلاثة أمور رئيسة تتصل بها فروع سنذكرها بشيء من الشرح والتفصيل في البحث القادم إن شاء الله تعالى.

ولكن قبل ذكرها وتفصيلها، يجب أن نتذكر أولاً أن أقوى أنواع الأسلحة على الإطلاق في مواجهة الأخطار والأزمات هو سلاح الإيمان والثقة بالله عز وجلّ، الإيمانُ بأنّ الله عزّ وجلّ سيمكّن لهذه الأمة في الأرض تماماً كما منّ عليها بالتمكين بإقامة الدولة الإسلامية الفتيّة الأولى، والتي وقفَ العالمُ أجمع في سبيل عدم قيامها، ولكنّها قامت رغم أنوفهم ورغم مكرهم وتخطيطهم وتدبيرهم... الإيمان والثقة بأن هذه الدولة قامت لتبقى وتقوى ويمتدّ نفوذها، لا لتهدم على أيدي الكفّار وعملائهم من الحكام، قامت لتنشرَ النور الإلهيّ في أرجاء الأرض؛ لتكملَ حلقة آخر رسالةٍ على وجه الأرض، رسالةِ الإسلام، ولتستأنفَ الخطّ الذي قُطعَ بزوال آخر عهد الدولةِ الإسلامية من الأرض؛ لتستأنف الحكم بما أنزل الله والجهاد في سبيل الله عز وجل، ولتفتح روما والبيت الأبيض وقصر الإليزيه وقصر بكنجهايم، والكرملين، وغيرها... وتنشر الخير في ربوع العالم.

يجب على رعايا الدولة الإسلامية أن يكون عندهم الثقة المطلقة بالله عزّ وجلّ، بأنه سيتولى برعايته وتأييده ونصرته هذه الدولة؛ لأنها دولة النور

الإلهي، دولة العدل والاستقامة والخير الجامع للناس كافة.

إن الله عزّ وجلّ قد منّ على هذه الفئة المؤمنة بالتمكين لأنهم مؤمنون استحقّوا نصرَ الله وتأييده، أي لأنهم اتّصفوا بالصفات نفسها التي اشترطها عليهم قبل قيام الدولة: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾.

إن هذا ـأيها الإخوة من حملة الدعوةـ هو أقوى سلاح يحمله المسلم على الإطلاق؛ سلاح الثقة بالله عز وجلّ قبل الدولة وبعدها، وبدونه لا يقوى المسلم على الصمود في أية مواجهة، حتى لو ملك كل أسلحة الأرض!..

فهذا هو أول الأسلحة في المواجهة، قال تعالى: ﴿ إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾ [آل عمران ١٦٠]، ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ [الحج ٣٨ـ٣٩]. ومن أصدق من الله قيلاً.

طرق التصدي والصمود في وجه الحرب المادية

ذكرنا سابقاً، أن الحرب المادية التي تشنها دول الكفر ضدّ الخلافة الإسلامية الموعودة تتركز في ثلاثة أمور رئيسة هي: تحريض القوى العميلة من الحكام وخاصة المحيطين بالدولة، واستخدام القواعد العسكرية القريبة مثل قاعدة الظهران أو الخفجة، أو النقب، أو القواعد السريّة التي لا نعلمها، وأيضاً تشكيل حلف عسكري دولي عن طريق تحريض القوى الكافرة من خلال المحافل الدولية مثل هيئة الأمم المتحدة.

هذه هي أكثر الأمور التي ستستخدمها دول الكفر ضد الدولة الإسلامية عند بداية قيامها، وستعمل الدول الكافرة على تضليل الشعوب في هذه الحرب ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً، سواء الشعوب الكافرة أم الشعوب في العالم الإسلامي، والسبب هو أن الحرب الصريحة يمكن أن يرتد أثرها سلباً عليها، وخاصة في البلاد الإسلامية.

أما طرق التصدّي والصمود في وجه هذا الخطر الغاشم الظالم فيمكن بيانه ضمن النقاط الآتية:

التعبئة العامة: المادية والمعنوية:

أما التعبئة العامة، فيقصد بها الحالة التي تستعد معها أو بها الأمةُ لمواجهة أي خطر محدق، أي هي عمليةُ استنهاضِ الهمم والطاقاتِ وكافة الفعاليات والقوى لدى الأمة مادياً ومعنوياً للوقوف والتصدي.

وأول أمر في مسألة التعبئة هو إفهام جماهير الناس في هذه الدولة أمرين

مهمين: **الأول** هو إفهام الناس حقيقة هذه الدولة التي قامت، وأهدافها وضرورة التضحية بالغالي والنفيس من أجل استمراريتها، وربط ذلك بمفهوم الثواب والعقاب. **والثاني** هو إفهام الناس أيضاً ما يريده الكفر من حربه ضد هذه الدولة، وربط ذلك كله بالآيات والأحاديث التي تتحدث عن هذه الحقائق، وربطه أيضاً بسيرة الرسول ﷺ، ومحاولات الكفار القضاء على الدولة الإسلامية الأولى.

أما الأمر الثاني، فيجب على القائمين على الأمر بيان معنى القضية المصيرية، وبيان أن هذه الدولة والدفاع عنها هو قضية مصيرية يجب على الأمة أن تتخذ إزاءها إجراء الحياة أو الموت.

فتفهّمُ الأمة أن الدولة الإسلامية هي التي سترفع الأمة من حالة الذل والتردي التي هي فيها، ومن حالة الفقر المدقع، ومن التبعيَّة للدول الاستعمارية، وأنها هي التي ستدافع عن جميع مقدراتها المادية والمعنوية، وهي التي ستقوم بحماية العقيدة وأحكام الدين؛ لذلك فإن حمايتها هو حماية للعقيدة والدين، وحماية لكرامة الأمة وكافة مقدراتها ومقدساتها وطريقة عيشها، هذه الأمور يجب أن تكون مقدمة لعملية التعبئة العامة.

ويمكن إجمال ما يقومُ به صاحبُ الأمر (الخليفة) ومساعدوه ضمن النقاط الآتية:

أولاً: إثارة روح الاستعداء عند جميع الرعية ضد الكفر ومفاهيمه ودوله. ومن أجل هذه الغاية توجّه كل وسائل الإعلام ووسائل الاتصال مع الناس للقيام ببث الخطب الحماسية واللقاءات والندوات والمحاضرات المتواصلة ليلاً ونهاراً طيلة فترة التأهب والاستنفار العام، ويركز في هذه

الحملة المنظّمة تنظيماً جيداً على ترسيخ مفاهيم التقوى عند الأمة، ومفاهيم الارتباط الوثيق بالله عز وجلّ، وحسنِ التوكّل عليه، كما يركّز أيضاً على تفهّم الأمة كيف تربطُ الأسبابَ بالمسبَّبات مع التوكّل على الله عز وجل.

كما تُدعى الأمة جميعاً، سواء أكانت تحت سلطان الدولة الإسلامية أم خارجها، إلى الطاعاتِ المتواصلة والدعاء؛ لأن دعاء المظلوم مستجاب، فقد كان المسلمون الأوائل إذا حزبهم أمرٌ لجأوا إلى الله تعالى بكثرة الطاعاتِ والدعاءِ والصيام والابتهال المتواصل. فعندما أراد صلاح الدين، رحمه الله، تحرير المسجد الأقصى من دنس الصليبيين، دعا جيشه لقيام الليل، وكثرة الدعاء والابتهال إلى الله، مع الأخذ بالأسباب كاملة. وعندما أراد محمد الفاتح، رحمه الله، فتح القسطنطينية، أمر جنوده بالصيام ثلاثةَ أيام قبل الهجوم، وبالصلاة والتكبير ليلاً ونهاراً حتى مكّن الله تعالى له بالنصر المبين.

والأصل أن يُنتقى لهذه المهمة أفضل الناس ممّن يجيدون المعرفة الفكرية، وفنّ إيصال الفكرة بأفضل طريقة، مثل الخطباء، والكتّاب، والإعلاميين المخلصين، ووجهاء الناس، وأصحاب المراكز المرموقة.

ثانياً: الدعوة العامة الموجّهة توجيهاً جيداً لجمع الإمكانات الماديّة، ووضعها تحت تصرف الدولة. فهذه الحالة حالةٌ تهمّ كلّ فردٍ من أفراد الرعيّة، والأصل ـ كما ذكرنا ـ أن يُتّخذَ إزاءها إجراءُ الحياة أو الموت، أي أن يضحّي الإنسان بنفسه وبماله أيضاً. فالأصل في المسلم أن يبذلَ كلّ إمكاناته الماديّة المتوفرة عنده فوق حاجاته الأساسيّة من أجل التعبئة العامة. فالإنسان الذي يقدر على تقديم المال يقّدم المال ، والإنسان الذي يقدر على تقديم السلاح والذخيرة يقدّم السلاح والذخيرة، والمزارع يقدّم ما

يمكن من منتجات زراعيّة، وصاحب الحلال يقدّم ما عنده من حيوانات زيادة عن حاجته الأساسية، والمرأة التي تملك المصاغ الذهبي، الأصل أن تقدّم هذا المصاغ للدولة من أجل التعبئة العامة.

والخليفة أو القائمون على الأمر يقومون بتسجيل هذه الإمكانات المادية لمن دفعها حتى تتمكن الدولة في المستقبل تعويض من يريدُ التعويض عن ماله.

ثالثاً: دعوة القادرين على الدفاع والحرب، سواءٌ أكانوا من أبناء الجيش النظامي، أم من القوى الاحتياطيّة، أم من غيرهم ممن يجيدون فنون الحرب؛ للمشاركة في تعبئة الناس، وتدريبهم على فنون المواجهة وفنون الحرب.

فمن يقدر على التدريب العسكري يقوم بذلك، ومن يقدر على التعبئة المعنوية يقوم بذلك، ومن يقدر على التوجيه والنصح لمواجهة الأزمات يقوم بذلك، وهكذا.

رابعاً: تفعيل طاقات الأمة بكل صورها ومجالاتها الزراعية والصناعية؛ لأن الحرب يلزمها استمراريةُ الإمداد بالمعونات والعتاد والذخيرة، ويلزم الأمة كذلك بشكل عام توفير المواد اللازمة وخاصةً الضروريّة منها. ويركّز في هذا المجال على إثارة الناحية العَقَديّة في العمل، وفي تشويق المسلمين للعزة والكرامة في الدنيا، وإلى الجنان في الدار الآخرة.

خامساً: بث روح المؤاخاة بين الناس تماماً كما فعل الرسول عليه الصلاة والسلام في مواجهة الحملة الشرسة من قبل قريش وقبائل العرب؛ لأن المؤاخاة تخفّفُ عن كاهل الدولة كثيراً من الأعباء في سدّ ثغرات الناس.

هذا باختصار ما يمكن أن يفعله صاحب الشأن من (**أمور التعبئة العامة الداخلية**) لمواجهة الأخطار والاستعداد على أحسن وجه.

المناورات السياسية، وحسن إدارة الأزمات:

المناورات السياسيّة هي أفضل الأمور في صد التحديات الخارجية، ويقصد بالمناورات السياسية من قبل الخليفة أو القائمين على الأمور من مساعديه: إبراز الأعمال والأقوال والتصرفات، وفي الوقت نفسه إخفاء الأهداف والمرامي المرجوّة؛ فالإبداع في إظهار الأعمال والأقوال وإخفاء الأهداف والغايات له أثرٌ كبيرٌ في التخذيل عن الدولة، وخاصةً أن الدول الكافرة يمكن اختراقها، ويمكن التمويه عليها.

ومسألة الإبداع هي مسألةٌ لا يمكن ضبطها في نقاط محددّة؛ لأنها تفعّل بما يتناسب مع الوقائع والأحداث، ولكن يمكن القول إنها تبقى ضمنَ دائرة الصدق والالتزام بأحكام الإسلام الخاصة بالكفار في الحرب.

ويجب أن يُختار لهذه الغاية المبدعون في السياسة وفي النظرة السياسيّة، وفي معرفةِ سياسات الغرب خاصّة، ومعرفة أهدافه ومراميه.

وقد أحسن الرسول ﷺ ـوهو المعلم لناـ في المناورات السياسية، في إظهار أعمالٍ معينةٍ وإخفاء الأهدافِ والمرامي البعيدة، مثل ما حصلَ في معاهدة الحديبية، حيث كان الظاهر من فعل الرسول ﷺ وفعل صحابته أنه يريد العمرة، وذلك بإظهار لباس الإحرام، وسوْقِ الهدي، ولكن الحقيقة كانت خلاف ذلك، حيث كان الهدفُ هو المعاهدة، من أجل فصل الحلف القائم بين قريش وبين اليهود.

أما حسنُ إدارة الأزمات؛ فهذا يتوقّف على قدرةِ صاحبِ الشأن في تأليبِ الأمة أولاً ضدَّ الكفّار، وفي رصّ الصفوف الداخلية، وفي إثارةِ

مشاعرِ الأمة في عملية التعبئة العامة بكل صورها وأشكالها.

حسن الخطاب للشعوب الإسلامية، والشعوب الكافرة:

لقد ذكرنا في بداية الموضوع أنّ الدول الكافرة ستعمل كلّ ما بوسعها لحشد الرأي العام الدولي، وتأليب الدول المجاورة بما فيها من شعوبٍ إسلامية، وستعمد الدول الكافرة في هذا الأمر إلى الكذب والتضليل والدعاية ضد الدولة الإسلامية.

من هنا يأتي حسن الخطاب للشعوب لبيان الحقائق، ويكون ذلك ضمن الوسائل والأساليب الآتية:

أولاً: إيجاد محطّاتٍ للبثّ الإذاعي والتلفازي وتوجيهها إلى الدول المجاورة، وإذا ما حصل تعطيل أو تشويشٌ لهذه المحطّات، تعمل الدولة على إيجاد محطات سريّة بديلة، وإن أمكن إيجادها حتى داخل الدول المجاورة.

ثانياً: استخدام كافة الوسائل الممكنة في إيصال رسالة الدولة، وبيان حقيقة الذي حدث، وبيان كذب الكفار ضد هذه الدولة وأضاليلهم. وذلك عن طريق الإنترنت والبيانات، والاتصال مع الشخصيات المؤثرة داخل الدول المجاورة، وإذا أمكن إقامة ندوات أو دروس أو خطب من خلال المساجد أو النوادي أو غير ذلك، وهنا يأتي دور حملة الدعوة في بلاد المسلمين لتحريك الشعوب الإسلامية ضد حكامها وللعمل على ضم دولهم إلى دولة الخلافة.

والحقيقة، إن مسألة إيصال الخطاب لشعوب البلاد الإسلامية يخضع للظروف الممكنة، ولا يمكن حصره في وسيلةٍ أو اثنتين، ولكن يمكن حصر

طبيعة الخطاب الموجّه ضمن النقاط التالية:

طبيعة الخطاب الموجّه للبلاد الإسلامية

أولاً: بيان حقيقة الدولة الإسلامية التي قامت، لأن الإعلام المعادي سيحاول إلصاق كافة التهم بهذه الدولة الناشئة ، تماماً كما حاول سادات قريش تشويه صورة الدولة الإسلامية في أعين العرب، مثل الدعاية التي بثّوها وهي أنّ الدولة الإسلامية تنتهك حرمة الأشهر الحرم، أو أنها تقطعُ طرق التجارة، أو أنها تهدف القضاء على الكيانات المجاورة والسيطرة على ثرواتها، إلى غير ذلك من افتراءات ألصقها زعماء قريش بالدولة الإسلامية في المدينة المنورة.

لذلك يجب أن يكون البيان والتوضيح للشعوب الإسلامية المجاورة سريعاً جداً؛ لأن التأخّر فيه يعني تمكّن قادة الدول المجاورة من بثّ السموم، وتأليب الجيوش، وحتى أبناء الشعوب، على هذه الدولة الناشئة. فَيُبيّنُ على وجه السرعة وبكل الوسائل المتاحة والمتوفرة حقيقة الحكام وتآمرهم مع الدول الكافرة للقضاء على الدولة الإسلامية.

ثانياً: إذا أصرت بعض الدول المجاورة على تسيير جيوشها نحو حدود الدولة الإسلامية، فإن الدولة الإسلامية تقوم في هذه الحالة بتوجيه الخطاب إلى الشعب المسلم من أبناء هذه الدول للوقوف بشدة في وجه القادة السياسيين والعسكريين. كما يوجّه الخطاب بالأساليب والوسائل الممكنة إلى المخلصين من أبناء الجيش، ويكون الخطاب عَقَدياً عاطفياً مؤثّراً، تُبيَّنُ فيه عقوبة من يقف في وجه الإسلام في الدنيا والآخرة، وعقوبة من يقتل مسلماً يدافع عن الإسلام وأمة الإسلام، ويُدعى أفراد الجيش بعد هذا البيان

للتمرّد على الأوامر العسكرية، والفرار من مواجهة المسلمين، وإسقاط الأنظمة العميلة.

ثالثاً: تذكير الشعوب الإسلامية بالويلات والمصائب التي جرّها الحكام العملاء عليهم، من ذلّ وتبعيّةٍ على الأمة الإسلامية، ومن نهبٍ لثرواتها وخيراتها. ويوجّه الخطاب للشعوب بطريقةٍ تثير فيها البغض للدول العميلة، كما تُذكّر الشعوبُ أيضاً بمعنى الانعتاق من الذلّ والتبعية الاستعمارية.

رابعاً: بعد زوال موجة العاصفة المنبعثة من الدول المجاورة وزوال خطرها، يُوجَّه الخطابُ لإسقاط هذه الحكومات العميلة، والانضمام للدولة الإسلامية الجديدة، والخطاب هنا نوعان: خطابٌ للحكام لنفض الذلّ عن أنفسهم، ذلّ التبعية الاستعمارية. وعدم مواجهة الشعوب فيما تصبُو إليه من الانضمام للدولة الإسلامية، وتذكيرهم بما حصلَ مع حكامٍ سابقين قامت عليهم الشعوبُ وخلعتهم كما يُخلَعُ النعل من القدم، فرفضتهم الدول الكافرة بعد أن لفظتْهم الشعوبُ من بني جلدتهم. فيذكَّرون مثلاً بما حصل بشاه إيران حين قام عليه الشعب، وفرّ إلى دول أوروبا، ثم لم يجد له مكاناً في نهاية المطاف يدفن فيه. ويذكّر هؤلاء الحكام أن أفضل طريقة للنجاة هي الانعتاق من التبعيّة الاستعمارية، والانضمام لجسم الدولة الإسلامية، فإذا رفض الحكام ذلك ـوغالباً ما يرفض قسمٌ منهم على الأقل إن لم يكن جميعُهمـ فإن الخطابَ في هذه الحالة يوجّه لأبناء الجيش وللشعب معاً للقيام على هؤلاء الحكام قومة رجل واحد، وإسقاطهم ودوسهم بالأقدام، كما يداس الجُعل الصغير.

خامساً: يوجّه الخطاب الإسلامي الحماسي لكافة أبناء الحركات

الإسلامية في الدول المجاورة للابتعاد عن أضاليل الحكام وأكاذيبهم، وللوقوف مع المخلصين من القائمين على إسقاط الحكومات، والانضمام لجسم الدولة الإسلامية، كما يطلبُ منهم في هذا الخطاب الانضمام لأبناء الحزب من العاملين في كافة البلاد الإسلامية لحمل هذه الرسالة.

ويركّز في الخطاب الموجّه لأبناء الحركات الإسلامية على أمور منها:

أ) وجوب الانضمام لجسم الدولة الإسلامية ، والعملِ من أجل هذه الغاية؛ لأن وحدة بلاد المسلمين فرض.

ب) وجوب الوقوفِ ضد الحكّام العملاء؛ لأنهم حربٌ على كل المسلمين، ومنهم أبناء الحركاتِ الإسلامية قاطبة.

ج) إثارة موضوع وحدةِ العمل الإسلامي في هذا الموقف؛ لأنه أمرٌ لا خلاف فيه بين أي مسلمٍ وآخر.

حسن الخطاب للشعوب الكافرة خارج بلاد المسلمين

ذكرنا ـفيما سبقـ ما يتعلق بحسن الخطاب للشعوبِ في بلاد العالم الإسلامي، أما الخطابُ للشعوبِ في بلاد الكفار فيركّزُ فيه على ثلاثة أمور:

أولاً: بيان فساد وزيفِ المبدأ الرأسمالي.

ثانياً: بيان فساد سياسة الدول القائمة على أساس المبدأ الرأسمالي، ومنها أهدافها في القضاءِ على الدولة الإسلامية.

ثالثاً: بيان حسنِ المبدأ الإسلامي وأهدافه في إسعاد البشريّة، ومن ذلك أهدافُ الدولة القائمة على أساس هذا المبدأ.

وقبل البدء في عرض تفصيلات هذه المسألة، لا بدّ أن نذكِّر بحقيقةٍ

مهمّة في هذا المجال، وهي أن هناك تضليلاً كبيراً عند الشعوب الكافرة تجاه الإسلام وتجاه المسلمين، وهذا التضليل يُستخدم من أجل ضرب المسلمين، والسيطرة على ثرواتهم، ومن أجل بقاء التبعية الاستعمارية لبلادهم، وقد استُخدم هذا التضليل قديماً في عصور متعددّة، كان أبرزها التضليل الذي حصل أثناء فترة الحروب الصليبية ضد بلاد المسلمين، وخاصة بيت المقدس.

ولا يخفى على مسلم مفكر متابع للأحداث، ما تفعله أميركا ودول أوروبا من سياساتٍ تضليليّةٍ عريضة تجاه بلاد المسلمين، وخاصة الحركات الإسلامية المخلصة.

فقد بلغ الأمر بأميركا أن تفعل أفعالاً إجرامية تجاه شعبها، وتجاه الشعوب الأخرى، وتصنع أحداثاً مريعة يذهب ضحيتها الآلاف من أجل تضليل الشعوب، وإثارة الأحقاد في نفوسها تجاه الإسلام وبلاد المسلمين؛ وذلك لتحقيق مصالحها الاستعمارية.

وإن من أشهر السبل التضليلية التي مازالت أميركا تسير في شعابها، وتضلل الشعوب بها موضوع (الإرهاب)، وإلصاقه بالإسلام والمسلمين، حيث جعلت من هذه القضية المضللة وسيلة وضيعة لتمرير مشاريعها الاستعمارية القذرة ضد الشعوب.

فباسم الإرهاب والحرب ضده، قادت أميركا حرباً قذرة، دنيئة الأهداف والغايات ضد الشعوب الضعيفة في أفغانستان والعراق، فاستعمرت تلك المناطق، وأخذت تعمل فيها قتلاً، وسلباً للأموال، واستعباداً للشعوب، وأخذت تصنع أحداثاً إجرامية من أجل استمرارية هذه الحرب ومدّها بالتأييد من قبل الشعوب في أميركا وأوروبا.

وعند قيام الدولة الإسلامية المرتقبة، لن تتوانى أميركا ودول الكفر كافة في استخدام سياسات التضليل الإجرامية هذه، من أجل تأليب الشعوب الكافرة ضد الدولة الإسلامية لضربها ووأدها في مهدها.

من هنا كان لابد من توجيه الخطاب للشعوب الكافرة المضلَّلة بكافة الوسائل والأساليب الممكنة، من أجل بيان الحقائق، وكشف زيف سياسات دولها، وقادتها الرأسماليين، ومن أجل بيان واقع الإسلام كمبدأٍ يهدف لإسعاد البشرية وإنقاذها مما هي فيه من ضلالٍ وضياع فكري وأخلاقي، وبيان أهداف الدولة الإسلامية التي تحمل هذا الفكر منهجاً للحياة تريد نشره في كافة بقاع الأرض.

وأما خطوات حسن الخطاب للشعوب الكافرة فهي:

أولاً: بيان فساد وزيف المبدأ الرأسماليّ الذي تحمله وتدين به:

ولا بد، قبل البدء في هذه النقطة المهمة، من أن نرجع قليلاً للتاريخ المعاصر، وذلك عندما قامت الفكرة الشيوعية، في بدايات القرن الماضي. حيث وجّهت الخطاب للشعوب في دول أوروبا وفي أميركا. وكان هذا الخطاب بأسلوبين، **الأول:** ضرب المبدأ الرأسمالي وبيان زيفه من خلال إظهار الحقائق العملية الموجودة في بلاد الغرب، وخاصة في النواحي الاقتصادية. **والثاني:** عرض الفكرة الشيوعية الجديدة، على أساس أنها هي المنقذ والمخلّص الجديد للشعوب في أوروبا وأميركا.

والحقيقة، إن الاتحاد السوفياتي نجح نجاحاً كبيراً في بداية الأمر، واستطاع ضرب سياسات الغرب في كثيرٍ من المناطق، واستطاع استقطاب

الشعوب في معظم دول أوروبا الشرقية، وفي بعض المناطق في أوروبا الغربية، وحتى داخل أميركا، واستطاع استعداء الشعوب الغربية ضد سياسات قادتها السياسيين، ما دفع الساسة والمفكّرين في أوروبا وأميركا إلى الالتفاف على أفكار المبدأ الشيوعي، وتبنّي سياسات جديدة في الاقتصاد منها (اشتراكية الدولة). ورغم كل الاحتياطات التي فعلتها دول الغرب، إلا أن الفكرة الشيوعية لاقت قَبولاً عند قطاعٍ واسع في بلاد الغرب، واستطاعت تحريض الشعوب ضد سياسات بلادها الاستعمارية في كثيرٍ من المناطق.

والحقيقة، إن فكرة الإسلام أقوى من الفكر الشيوعي، وأقدر على لفت نظر الشعوب الغربية إلى الفساد العريض الذي تعايشه، وإلى الفساد الكبير الذي تقوم به الحكومات السائدة في بلادها.

لذلك يوجّه الخطاب بالطرق والأساليب الممكنة للشعوب في دول أوروبا، وفي أميركا، ويركّز في هذا الخطاب ـ كما أسلفنا ـ على فساد المبدأ الرأسمالي في أساسه وفروعه.

فبالنسبة للأساس مثلاً؛ تُخاطب الشعوبُ الغربية خطاباً عقلياً مؤثّراً، يُبيَّن فيه أنها شعوب لا تحكّم العقل في تعاملها مع الناحية المبدئية، مع أنها شعوبٌ تقدّر الفكر والعقل، وتبدعُ في كافة النواحي العلمية والتقدم في كافة المخترعات والمكتشفات.

فيوجه إليها مثلاً بعض الأسئلة من مثل: هل فكرة فصل الدين عن الحياة تستند إلى ناحية عقليّة؟! أم أنها فكرة جاءت كردّة فعلٍ على إساءات رجال الدين والكنيسة التي سادت في العصور الوسطى؟

ثم نبيّن لهذه الشعوب كيف نبتت فكرة فصل الدين عن الحياة في مجتمع

الغرب، وأنها فكرة تجانب التفكير العقلي السليم؛ لأنه لا يوجد حلٌّ وسطٌ بين أمرين أحدهما يُنظر إليه على أنه صواب، والآخر يُنظر إليه على أنه خطأ. فالوسط بين الخطأ والصواب ـعلى فرض وجود صوابـ هو خطأٌ عقلاً.

وبهذا يُلفت نظرُ الشعوب الغربية في أوروبا وأميركا أنها شعوبٌ لا تحكّم العقل في مبدئها، مع أنها تقدّس هذا العقل في كل شيءٍ في حياتها!!

هذا بالنسبة للأساس الذي تستند إليه شعوبُ الغرب، أما بالنسبة للفكر الذي تحكّمه في حياتها في كافّة الشؤون: في السياسة، والاجتماع، والاقتصاد... فيُلفت نظرُها إلى الأمور الآتية:

١ـ إن كل شيء يبنى على باطل هو باطل، والفكر الغربيّ قد بُني على أساسٍ باطل هو: الحل الوسط، فيكون باطلاً في كلّ جزئية من جزئياته.

٢ـ يُلفت نظر الشعوب الأوروبية والأميركية إلى الفساد الموجود بين ظهرانيها مثل مشكلة الفقر، وتُثار حول هذه المشكلة عدة أسئلة منها: من أين جاءت مشكلة الفقر في أوروبا وأميركا، مع أنها بلادٌ متقدّمةٌ في كل المجالات الاقتصادية؟!

وفي أثناء الإجابة عن هذا السؤال، يُلفت انتباه الشعوب إلى أن السبب في وجود الفقراء يكمن في النظام الذي ينظّم شؤون الناس الاقتصادية، وليس السبب هو قلة الثروات.

٣ـ يُحرّض الناس ضدّ النظام الذي سمح لرجال ـبواسطة الاحتكار والربا وغير ذلك من مفاسدـ أن يمتلكوا ثرواتٍ طائلة، بينما غيرهم لا يجد لقمة العيش، ويعيش على ما يلتقطه من حاويات القمامة!!

٤ـ يُلفت نظر الناس كذلك إلى المشاكل الاجتماعية؛ مثل الإيدز،

والجرائم المنظّمة، والمخدّرات، واللقطاء، وانتشار دور البغاء، وكثرة حالات الطلاق، وتشرّد الأولاد... وغير ذلك من مفاسد اجتماعية. وتُوجّه إليها الأسئلة أثناء عرض كل مشكلة. فعندما تعرض مشكلة مرض الإيدز يوجّه إليها السؤال الآتي: ما هو سبب هذا البلاء الذي يقضّ مضجع كلّ الشعوب في بلاد الغرب؟! وما هو السبيل للخلاص من هذا البلاء العظيم؟! وتُثار الأسئلة بالطريقة نفسها حول كلّ مشكلةٍ من المشاكل الاجتماعية، ثم يُلفت نظرُهم إلى الحقيقة الساطعة وهي: أن هذا البلاء في كلّ مشكلةٍ يرجع في سببه إلى أفكار الحريّات التي نبتت من فكرة (**فصل الدين عن الحياة**)، والتي ظهر عوارها وخطؤها وخطرها.

هذه بعض الأمثلة في إظهار فساد الفكر الرأسمالي في الأساس، وفي البناء الذي بُني عليه.

ثانياً: بيان فساد السياسات الغربية بحقّ الشعوب في كل مناحي الحياة في الكرة الأرضية.

والحقيقة، إن هذه قضيّة مهمّة في (**التخذيل**) عن حياض المسلمين؛ لأن الشعوب إذا فهمت الواقع فهماً سليماً صحيحاً فإنها تؤثّر في سياسات بلادها الخارجية.

فقد كان لتأثير الشعوب ردة فعل قوية في أميركا لإنهاء الغزو الأميركي لفيتنام، وكذلك يتنامى دور الشعوب اليوم في التأثير على الحكومة الأميركية لسحب قواها العسكرية من أرض العراق.

من هذا الباب نقول بأن على الدولة الإسلامية إثارة موضوع سياسة

الحكومات الغربية خارج أراضيها وخاصة تجاه بلاد المسلمين، ويركّز في هذا الموضوع على أمرين مهمين:

الأول: بطلان ادعاءات الحكومات الغربية لإثارة الشعوب الغربية ضد الإسلام كفكرة، وضد المسلمين كأمة وكدولة؛ فالإسلام ليس دين إرهاب كما تكذب الحكومات على شعوبها، والمسلمون لا يهدفون إلى إرجاع الناس إلى عصور التخلف كما تحاول إقناع شعوبها، وإنما يهدف لإنقاذها وإرشادها وإسعادها.

الثاني: لفتُ انتباه الغرب إلى حالاتٍ كثيرةٍ كذبت فيها الحكومات على شعوبها أثناء حربها على الإسلام والمسلمين، وخاصة في حربها في أفغانستان والعراق.

فقد ادعت أثناء حربها على أفغانستان أنها تهدف إلى تفكيك قوى الإرهاب، وإذا بها تغرسُ أقدامها في كل أرض أفغانستان، وتنهب خيراتها، وتتحكّم في القرار السياسي.

وكذلك ادعت ـ كذباً ـ أنها تريد تفكيك قوى الإرهاب في العراق، وتفكيك برامجه النوويّة وأسلحة الدمار الشامل التي ثبت خلوه منها، وإذا بها تغرسُ أقدامها في أرض العراق، وتنهب ثرواته، وتستبيح أرضه، وتقتل أبناءه، وتضعهم في أقبية السجون، وتتحكم في القرارات السياسية في تنصيب من تشاء، وفي خلع من تشاء، وفي وضع الدستور والقوانين.

فالغرب الكافر ـ حتماً ـ سيلجأ إلى مسلسل الكذب والتضليل الذي يستخدمه في كلّ مرّة يشنّ فيها حرباً على بلاد المسلمين، أو على المخلصين من أبناء الإسلام.

وهذا يحتاج إلى دقّة مراقبة ومتابعة لما يحيكه الغربُ ضدّ الدولة الإسلامية، ويحتاج إلى حسن التأتي في توجيه الخطاب للشعوب المضلّلة ضد حكوماتها الاستعمارية.

ولا يقال في هذا المقام إن الشعوب الغربية هي من جنس حكوماتها، تُكنُّ العداء للمسلمين، وتحرص على القضاء عليهم. فهذا ليس موضعه في هذا المقام، بل إن المقام هنا هو إيجاد الشرخ بين الشعوب المضلَّلة وحكوماتها التي يتحكّم بها الرأسماليون، ويسخّرون البلاد والعباد في الغرب من أجل ثرواتهم وشركاتهم، ولا تجني الشعوب في النهاية سوى القتل والدمار.

وقد استطاع الرسول عليه الصلاة والسلام بحنكته السياسيّة أن يوجد شرخاً بين قبائل العرب، وبين قريش واليهود، وحتى بين قادة قريش بعضهم مع بعض عندما طال حصارهم للمدينة المنورة.

ولا مانع أيضاً في هذا المقام من توجيه نقد للناحية الديمقراطية، من حيث الفكرة والتطبيق العمليّ لها، أو من حيث الفكرة والقوانين البعيدة عنها- التي تحملها شعوب الغرب فكراً وعقيدة-، مع أننا لا نؤمن بالديمقراطية ولا بأفكارها.

فيوجّه الخطاب للشعوب الغربية، بأن حكوماتها تتجاوز شعارات: حق تقرير المصير، والقبول بالآخر التي تهدف لنشرها في البلاد الأخرى، وذلك بقيامها بإعلان الحرب على دولة تحمل مبدأً تؤمن به، وتريد تطبيقه في حياتها.

بقيت مسألة في هذا الموضوع وهي دعوة الشعوب الغربية لدراسة فكرة الإسلام دراسة واعيةً دقيقة: دراسة أساس الإسلام (العقيدة)، والنظر

والتمعّن بأن هذه العقيدة تستند إلى العقل، لا إلى الخرافة أو إلى ردّات الفعل العاطفية، كما هو في مبدأ الغرب، ودراسة أحكامه ـأي الإسلامـ وأفكاره التي استندت إلى هذه العقيدة، وتذكير الشعوب الغربية بمحاسن هذه الأفكار والأحكام، حيث إنها أحكامٌ تنشر الفضيلة والأخلاق الحميدة، وتحافظ على المرأة، وتحفظ حقوقها المادية والمعنوية، وتنشر الأمن والعدل والاستقامة في كل شؤون الحياة، وتقضي على الفقر وترفع مستوى الناس إلى درجة الغنى، وتقضي على كل مظاهر سلب الأموال، وخاصة تلك المرتبطة والمنبثقة عن سياسة الاحتكارات والربا والعولمة في الرأسماليّة.

ومن أجل هذه المسألة المهمة يَسلك القائمون على الأمر عدّة سبل، منها على سبيل المثال لا الحصر، دعوة المفكّرين الغربيين لدراسة الإسلام دراسة فكرية واعية. ومنها أيضاً دعوة بعض المفكرين في الغرب لزيارة حاضرة الدولة الإسلامية، ومعايشة الإسلام عملياً في كافة المجالات. ومنها استخدام وسائل الإعلام في إيصال معلوماتٍ واضحةٍ عن الإسلام، وعن الدولة الإسلامية، وبكافّة اللغات الممكنة، ودعوة شعوب الغرب للاطلاع على هذه المعلومات. ومنها كذلك دعوة المسلمين في بلاد الغرب، وخاصّة شبابَ الحزب للاتصال بكافة شرائح المجتمع في الدول التي يقيمون فيها، وبكل طاقةٍ يمكنهم أن يبلغوها، وذلك لبيان حقيقة الإسلام كفكرةٍ ونظام حياة، وحقيقة الدولة الإسلامية كمخلّصٍ للشعوب مما هي فيه من ضياعٍ وضلال.

هذه بعض الأفكار والآراء التي يمكن من خلالها التخذيل عن الدولة الإسلامية، وذلك من خلال دعوة الشعوب الغربية لإعمال عقولها، وتفحّص سياسات قادتها ودولها، وهي من أساليب حسن الخطاب لهذه الشعوب.

ثانياً: سياسة التشويه والتضليل (الحرب الفكرية)

ذكرنا سابقاً النوع الأوّل من التحديات الخارجية، التي تواجه دولة الخلافة الموعودة، وهي الحرب الماديّة، وذكرنا أيضاً طرق التحدّي والتصدّي والثبات في وجهها.

وسنذكر الآن النوع الثاني من التحدّيات الخارجيّة، وهي: (سياسة التشويه والتضليل، والحرب الفكرية بكافة أشكالها).

وقبل استعراض هذا النوع من أنواع التحدّي بعد قيام دولة الخلافة ، نتذكر ما يفعله الكفار اليوم من سياساتِ تضليلٍ وتشويهٍ، وحربٍ فكريّة عاتية بكافة أشكالها وألوانها وذلك من أجل الحيلولة دون قيام الدولة الإسلامية.

فالحرب التضليلية التي تستخدمها دول الكفر اليوم، للصدّ عن سبيل الله كبيرة وكثيرة الألوان والصور؛ منها تشويه صورة الإسلام، وصورة المسلمين العاملين، ومنها الكتابات المتكررة من قبل المغرضين، ومنها أيضاً ما فعلته أميركا ودول الكفر في افتعال الأحداث ولصقها بالمسلمين، ثم الادعاء بعد ذلك أن الإسلام هو دين الإرهاب، وأن المسلمين إرهابيون يهدفون لتحطيم المدنيّات، وقتل البشر، وإرجاع الناس للعصور الوسطى في الغرب.

وقد برز هذا الأمر بشكل جليٍّ في أثناء أحداث أيلول سنة ٢٠٠١م، حيث أخذت أميركا بالتحريض الواسع العريض ضدّ الإسلام والمسلمين في كافة بقاع الأرض، وفي داخل بلادها. وقد قامت بقيادة حربٍ مفتعلةٍ في أفغانستان والعراق تحت هذه الذرائع الكاذبة، ومازالت أميركا تعيث في بلاد

أفغانستان والعراق فساداً وخراباً ودماراً، وتنهب خيراتها وتسيطر على جميع ثرواتها تحت المسمّى الكاذب وهو (محاربة الإرهاب).

إن هذه المسألة ـ كما ذكرنا سابقاً ـ ليست جديدة في تاريخ الإسلام، بل إن الكفر حريصٌ على تشويه صورة الإسلام في أعين الناس، وتضليلهم عن الحقائق، وبالتالي صدّهم عن سبيل الله، وحريص كذلك على اختلاق الأكاذيب والافتراءات وإلصاقها بالإسلام والمسلمين من أجل إفشال جهود الدعوة، سواء أكان قبل الدولة أم بعدها، وحريص أيضاً على اختلاق الأكاذيب والافتراءات من أجل تجييش الجيوش لمحاربة الإسلام والمسلمين والسيطرة على بلادهم سياسياً واقتصادياً.

وستبقى هذه المسألة، يستخدمها الكفار في أغراضهم الخبيثة من أجل الصد عن سبيل الله، ومن أجل تقويض أيّ إنجازٍ يحققه المسلمون في أرض الواقع.

لذلك فإنه من المحتم أن يلجأ الكفار الغربيون لهذا الأسلوب البغيض الخسيس الدنيء، لمحاولة تقويض الإنجاز الكبير العظيم الذي يحققه المسلمون بإقامة الخلافة الراشدة، ولن يستطيعوا إلى ذلك سبيلاً بإذنه تعالى، قال تعالى: ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الأنفال ٣٠]. ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ ﴾ [الأنفال ٣٦].

تشويه صورة الدولة الإسلامية

أما سياسة التشويه والتضليل التي سيلجأ إليها الكفار فستأخذ عدة صورٍ نذكر منها:

١ـ تشويه صورة الدولة الإسلامية لدى الشعوب الإسلامية.

٢ـ تشويه صورة الدولة الإسلامية لدى شعوب الغرب.

أولاً: تشويه صورة الدولة الإسلامية لدى الشعوب الإسلامية:

إن الغرب سيبذل كافة جهوده وأساليبه القذرة في الافتراء على الدولة الإسلامية، وعلى العاملين فيها، وسيجيّش من أجل هذه الغاية الخسيسة الهابطة، كل عملائه من حكام وأتباع ومفكرين.

فالدولة الإسلامية ـكما يعرف الغربـ إن نجحت في تثبيت أقدامها في بداية قيامها، فلن تنفع كل الأساليب والطرق في حربها وصد الناس عنها، والسبب هو أن الكذب والتضليل سرعان ما تكشفه الحقائق، أي سرعان ما تكشف الدولة الإسلامية بسياساتها وأعمالها ونظرتها للشعوب، كل هذه الأباطيل والأكاذيب المختلَقة. من هذا الباب ستحرص دول الكفر وستلقي بثقلها لتقويض هذه الدولة في مهدها.

هذه ناحية، أما الناحية الثانية: فإن الغرب يدرك إدراكاً جيداً أنه ليس له القدرة على مواجهة الإسلام، وخاصةً في عقر داره، وقد جرّب أكثر من مرة، في فترات تاريخية متعددة، غزو بلاد المسلمين، لكنه فشل فشلاً ذريعاً، وأخذ يبحث عن وسائل وأساليب أخرى يستطيع من خلالها السيطرة على

المسلمين، وليس أدلّ على هذه الحقيقة من الحروب الاستعمارية في أوائل القرن الماضي.

من هذا الباب، ولأجل تحريض المسلمين، وتضليلهم ضد الدولة الإسلامية القائمة، سيلجأ إلى سياسة الافتراء والتشويه وقلب الحقائق.

ومن الأساليب التي سيلجأ إليها الكفار بمساعدة عملائهم من الحكام والمفكرين:

١ ـ المسألة القومية والعرقية.

سوف يحاول الكفار جاهدين ـ كما فعلوا من قبل عندما هدموا الخلافة ـ الضرب على وتر القومية والعصبية، وذلك بإثارة فكرة سيطرة بلدٍ على بلد آخر ومقدراته ومكتسباته.

فالغرب ـ باستمرار ـ يرسّخ في أذهان الناس فكرة الانفصال والتفرقة، ويثير الحروب بين الدول المتجاورة من أجل غاية التفرقة وترسيخ الانفصال بين الدول، وقد استغل هذه المسألة بشكل جيد في السيطرة على شعوب العالم الإسلامي، واستغلّها استغلالاً جيداً في إثارة الشعوب في العالم الإسلامي ضد فكرة ضمّ العراق للكويت سنة ١٩٩٠م.

ومن الأمور التي سيضرب على وترها الغرب الكافر لإثارة الناس ضمن موضوع إثارة القوميات والنزعات الانفصالية، مسألة سيطرة شعب على شعب آخر، ووضع ثرواته ومكتسباته المادية تحت سيطرته، وأن محاربة الإسلام وفكرة الدولة الإسلامية ستتخذ ذريعة لهذه الغاية المادية.

وسيحاول الحكام المجرمون إثارة النزعة القومية والانفصالية في

صفوف الشعوب، وفي صفوف الجيش، والضرب على وتر المكتسبات الخاصة لدى الدول المجاورة، مثل ثروات البترول أو الرفاهية العالية، أو غير ذلك من أمورٍ تُخاطب بها البطون والشهوات.

٢ـ محاولة الطعن في مصداقية الدولة الإسلامية.

سوف يحاول الغرب الطعن في مصداقية الدولة الإسلامية، وأنها ـأي الدولة الإسلاميّةـ إنّما تتخذ الإسلام ذريعة لتحقيق أهدافٍ أخرى. وهذه من المسائل التضليلية عبر التاريخ الإسلامي منذ قيام الدولة الإسلامية الأولى وحتى يومنا هذا.

فقد حاول كفار مكة ـفي بداية قيام المسلمين ببناء أسس الدولة في المدينة المنوّرةـ حاولوا قلب الحقائق في أذهان القبائل المجاورة للدولة الإسلامية، فأشاعوا بأن محمّداً وأصحابه يهدفون للسيطرة على طرق التجارة، وعلى مقدّرات الناس، وأنه يستخدم الدعوة الجديدة التي يدعو لها من أجل غايات أخرى.

فالدول الغربية بمساعدة عملائها من الحكام خاصة، سيطعنون في مصداقية دعوة المسلمين العاملين في الدولة الإسلامية، وسيفترون على الشعوب بأن دعوات القائمين في هذه الدولة، مثل ضم العالم الإسلامي وتوحيده تحت راية الإسلام، وتطبيق الإسلام على الشعوب المسلمة، وتخليصها من الظلم الذي تعيشه تحت حراب حكامها؛ سيقولون بأن هذه دعواتٌ كاذبة هدفها فقط إثارة الشعوب للانضواء تحت جناحهم لتوسيع دائرة سيطرتهم، وبالتالي التمكّن من تحقيق الأهداف الحقيقية التي يسعون من

أجلها، ومنها السيطرة القومية والاقتصادية.

والهدف من هذه الأكاذيب والافتراءات هو صدّ الناس عن تأييد الدولة الإسلامية، والسعي للانضواء تحت لوائها، ومحاربة كل من يقف في طريق ذلك من الحكام.

٣ـ التهويل من عواقب الحروب،

سوف يحاول الغرب تصوير القائمين الجدد على الدولة الإسلامية، لدى الشعوب الإسلامية، بأنهم متهورون. وهذا أيضاً من وسائل تشويه صورة المرحلة الجديدة التي تقودها الدولة الإسلامية الوليدة؛ لإنقاذ العالم الإسلامي من حالة التردي والخنوع والتدهور الكبير.

فالشعوب ـبطبيعتها كما نعلمـ تحب الحياة والأموال والدَعة والسكينة والهدوء، وتكره الحروب والدمار والخراب، وتهرب من الشدة والجوع وغير ذلك من شدائد.

لذلك سيحاول الحكام جاهدين الضربَ على وتر الشدة والحروب القادمة، والمواجهات الشديدة مع دول الغرب، والحصار السياسي والاقتصادي.

هذه أبرز الأمور التي سيحاول الغربيون بواسطة عملائهم من الحكام إثارتها في تشويه صورة الإسلام، وتضليل الشعوب المسلمة ضد الخلافة الإسلامية الموعودة.

نسأل الله تعالى أن يجعل كيدهم في نحورهم، وأن تكون هذه الحرب القذرة سبباً في تفتّح عقول الشعوب المسلمة بدل تضليلها، وسبباً في قربها

من الإسلام ودولة الإسلام بدل إبعادها عن دائرة الوحدة تحت راية لا إله إلا الله محمد رسول الله، وتحت شعار: الله أكبر، والعزة للإسلام، والذل والهوان للكفر والكفار.

ثانياً: تشويه صورة الدولة الإسلاميّة لدى شعوب الغرب.

ما زلنا نتحدث عن النوع الثاني من التحديات الخارجية، وهو: **(سياسة التشويه والتضليل والحرب الفكرية بكافة أشكالها)**.

وقد ذكرنا في النقطة السابقة كيف ستحاول دول الكفر مع عملائهم من الحكام، وعملائهم من المفكرين المضبوعين بالثقافة الغربية، كيف ستحاول تشويه صورة الدولة الإسلامية في نظر الشعوب المسلمة؛ وذلك لإثارة الشعوب في وجه هذا التغيير الجديد.

ولن يقف الأمر عند حد الشعوب المسلمة في هذه الحرب القذرة الدنيئة، إنما سيمتد كذبها وتضليلها الفكري إلى شعوب الغرب لإثارتها ضد هذا الحدث العظيم، ولتحريضها للوقوف في وجهه خلف سياسات دولها الإجرامية.

إن الغرب سيقوم بربط حقيقة الدولة الإسلامية وأعمالها وغاياتها مع الأحداث الإجرامية التي تفتعلها أميركا ودول الكفر، وتلصقها بالإسلام والمسلمين... وسيقوم ببذل كافة الجهود لإخفاء الحقائق، وتضليل الناس عن غايات الدولة الإسلامية وأهدافها... وسيقوم كذلك بتشويه صورة الإسلام في أعين الغرب وتضليلهم عن حقيقة الإسلام وغاياته... وسيقوم أيضاً بتشويه صورة التاريخ الإسلامي ـوخاصةً تاريخ الفتحـ ومحاولة قلب

الحقائق التاريخية.

ولعل من أبرز الأفكار التضليلية التي تستخدمها دول الكفر في هذا المضمار هي:

١ـ إثارة روح العداء والتحريض عن طريق إعادة بعض الصور المقلوبة في أذهان الغربيين.

ومن جملة الأمور التي يعرضها الغربيون في إثارة روح العداء ضد الإسلام والمسلمين هو الطَرْق على مسألة العداء الديني؛ بمعنى أن الإسلام يريد القضاء على الديانة النصرانية الموجودة عند الشعوب الغربية، عن طريق إكراه الناس على تركها بالقوة، واعتناق الدين الإسلامي.

فبدل أن تُعرض صورة الإسلام الحقيقية على اعتبار أنه الدين الناسخ للديانات السماوية، وأنه الدين الوحيد الصحيح في صلته بالله عزّ وجلّ، تُعرض الصورة المعاكسة تماماً في أن دين الإسلام يعادي الناس جميعاً، ومن أجل هذه الافتراءات، ستستعرض في أذهان الغربيين الحروب الصليبية في بلاد المشرق، أو الحروب التي خاضها المسلمون على أبواب أوروبا الغربية، وفي وسط أوروبا الشرقية، ويزوّر جميع الحقائق المتصلة بهذه الأحداث.

٢ـ إثارة الغرب ضد أفكار الإسلام وتصوراته، وخاصة نظرة الإسلام لفكرة الحريات الأربع.

فمعلومٌ أن الحريّات عند الغربيين هي أغلى ما ينظر إليه الغرب من إنجازات، وأن أي شيء يمسّ هذه الحريات فإنه يمسّ شيئاً مقدّساً ومحترماً

في حياتهم.

فالحكومات الغربية ستعرض صورة الدولة الإسلامية وأعمالها، بصورة معكوسة ومبتورة، لترسخ في ذهن الغربي أنها دولة تحارب هذه الحريات، وتدعو إلى كبتها، والتضييق على أصحابها، فقط من أجل التضييق على الناس، وكبتهم، دون أي ذكر للناحية الفكرية في نظر المسلمين لمسألة الحرية، ودون أي ذكر لمسألة الخطأ والصواب في ذلك.

٣ـ قلب الحقائق التاريخية في رسم صورة قاتمة عن الدولة الإسلامية، على اعتبار أنها تمثّل صورة العصور الوسطى المظلمة في حياة الغرب.

فمعروف أن الغرب يمقت حقبة العصور الوسطى؛ لأنها مثّلت في حياته فترةً عصيبةً ومريرة بسبب الإساءات التي كان يفعلها رجال الكنيسة.

وهذا الأمر ستستغلّه الحكومات الكافرة بما لديها من مفكّرين مضلِّلين في إثارة الغرب ضد الدولة الإسلامية الجديدة، على اعتبار أنها تمثّل تاريخاً أسود قاتماً، وتمثّل فترةً من الظلم والظلام والتخلّف بكل صوره وأشكاله المادية والمعنوية.

٤ـ قلب الحقائق عند الغرب في عرض صورٍ من الماضي ومن الحاضر تمثّل صورة الحكام الضالين الخارجين على تعاليم الإسلام، و في الوقت نفسه عرض صورة الفقر والحرمان الذي تعيشه مناطق عديدة من الشعوب الإسلامية في بلاد المسلمين، أو من الجاليات الإسلامية في أوروبا، وإلصاق ذلك كله بالإسلام كمبدأ.

والحقيقة، إن التاريخ الإسلامي فيه بعض الثغرات والإساءات، ولا

تكاد تخلو منها فترة تاريخية سوى فترة الخلافة الراشدة، وفترة الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز، سواء أكانت هذه الإساءات في الفتن والصراعات على الحكم، أم في غير ذلك. أما صورة الفقر، فإنها ظاهرة اليوم في كل بلاد العالم الإسلامي دون استثناء، ولا تكاد تخلو منها أغنى البلاد في دول الخليج؛ وذلك بسبب الاستعمار السياسي والعسكري والاقتصادي لبلاد المسلمين... وهذه من صور التضليل والتشويه المقصودة التي ستعرضها دول الكفر ضد الدولة الإسلامية، من أجل تحريض الغرب ضد هذه الدولة، وإثارتهم في حربها والوقوف في وجهها.

طرق التصدي للصور التضليلية

إن هذه الصور التضليلية المقلوبة ليس من الصعب على الدولة الإسلامية ودعاتها المخلصين الواعين تفنيدها واحدةً بعد الأخرى، وتثبيت الصورة الصحيحة في أذهان الغرب.

فالمسألة التضليلية **الأولى** وهي: **(إثارة روح العداء والتحريض ضد الدولة الإسلامية)**، يمكن صدّها وتفنيدها وذلك بإبراز الصورة الصحيحة للتاريخ الإسلامي تجاه الشعوب الكافرة.

فيُعرض أولاً أن الإسلام لا يحارب من أجل مصالح دنيوية رخيصة،كما هو عند الغرب، ولا يحارب كذلك من أجل ذات الحرب، للقتل والدمار والخراب، وإنما يحارب من أجل حمل مبدئه للشعوب المضَلَّلة لإخراجهم من ظلام الأفكار واعوجاجها، ومن ظلم العباد.

فالإسلام في كل فتوحاته الطويلة عبر تاريخه العريض الطويل لم يهدف ولو مرة واحدة لسلب شيء من الشعوب، بل على العكس كان يحافظ على أموالهم وأعراضهم ودمائهم بعد الفتح، وحتى أماكن عباداتهم، ولم يجبر أحداً من الناس على اتباع دينه بالإكراه والإجبار، وهذا بعكس الحروب الدينية التي كانت تحصل بين طوائف النصارى من كاثوليك وبروتستانت، حيث كانت تُزهقُ فيها الملايين من الأرواح، وتُسلب الثروات، وتُنتهك الأعراض، ويُجبر الناس على ترك معتقداتهم، وأيضاً بعكس الحروب الدينية التي شنها الغرب ضد المسلمين في الأندلس حيث أعملوا فيهم سيف القتل بسبب دينهم، وأجبروهم على التنصّر أو الموت،

وأيضاً بعكس الحرب الصليبية التي خاضها النصارى في بلاد الإسلام في المشرق، حيث قتلوا الناس وهم آمنون في بيوت العبادة، كما حصل في مذبحة القدس في المسجد الأقصى المبارك.

فالإسلام دين يحمله أصحابه بالقناعة العقلية، ولا يُجبر الناس على اعتناقه، وفي الوقت نفسه يحافظ على أماكن العبادة الأخرى، ويوفّر لأصحابها الجو الآمن للأداء.

أما بالنسبة لمسألة نظام الحريّات ووقوف الإسلام منها موقفاً شرعياً حاسماً يقيّده

فهذه المسألة تحتاج إلى شيءٍ من الحنكة والدراية في تفهيم الغرب أن نظام الحريات نظامٌ باطل عقلاً، وهو نظام فاسدٌ أيضاً، وهو استعبادٌ لبني الإنسان أكثر من استعباد الكنيسة، وأن الإسلام هو دين تحرير الشعوب، بإعتاق الإنسان من عبودية الإنسان إلى عبودية الله تعالى.

فيجب أن تصحّح الصورة على الشكل الآتي:

أولاً: إن نظام الحريات في الغرب جاء من فكرة باطلة لا تستند إلى عقل، هي فكرة الحل الوسط بين أمرين كلاهما خاطئ، وهما: تسلط رجال الدين، وإلغاء الدين كما طالب الإصلاحيون.

فالحل الوسط فكرةٌ لا يقبلها العقل؛ لأنّها لا تستند إلى الناحية العقلية الصحيحة؛ لأن الأمور إما أن تكون خطأً أو صواباً، ولا وسط بينهما.

ثانياً: إن فكرة الحريات فيها انتهاك للناحية الإنسانية الصحيحة (الفطريّة).

فالحرية الشخصية مثلاً تبيح للإنسان أن يخرج إلى الشارع عارياً،

وتبيح له أن يمارس اللواط، وتبيح له أن يشرب الأفيون والحشيش، وتبيح له حتى قتل نفسه والتخلص من الحياة.

ولا يخفى على عاقلٍ ما جلبته الحرية الشخصية في بلاد الغرب من انتهاكاتٍ لكرامة الإنسان، وما جلبته من أمراض ومن جرائم لا تُحصى ولا تُعدّ.

أما مسألة الاستعباد في مفهوم الحريات فهذا ظاهرٌ في مسألة الملكيّة، حيث جرّت حريّةُ الملكية على الغربيين الاحتكارات من قبل أصحاب الشركات العملاقة، وجرّت كذلك التحكّمات في أسعار السلع والأجور، ما جعل هذه الشركات في نهاية المطاف هي السيّد الذي يتحكم في أرزاق الناس وأجورهم وحياتهم، وأصبح الناس عبارة عن خدمٍ لأصحاب هذه الشركات يعملون في الليل والنهار من أجل تحصيل لقمة العيش.

إذن هذه هي فكرة الحريات التي ينادي بها الغرب، ويخاف من الدولة الإسلامية عليها.

وبعد هذا العرض الواضح الصحيح تبيَّنُ الصورةُ الصحيحة في كيفية عتق الإسلام للإنسان، حيث وضع أحكاماً شرعيةً تنظم حياته على أحسن وجه وأرقى هيئة.

فوضع الأحكام الشرعية مثلاً في مسألة الزواج والتي تنظم حياة الإنسان الجنسية تنظيماً صحيحاً يقضي على كل ألوان الفساد، فبدل أن يقيم الرجل، عن طريق الحريات الشخصية، علاقات مفتوحة مع النساء دون قيد أو ارتباط أو تنظيم، علاقات تقوم على الناحية الشهوانية الحيوانية المجردة، وبالتالي وقوع الإنسان والمجتمع بأسره في ضنك المشاكل

الاجتماعية، وضنك الأمراض الفتاكة التي لا ترحم، بدل ذلك جاء الإسلام ونظم هذه العلاقة تنظيماً يرفع كل ألوان هذا الفساد، فجعل العلاقة الجنسية تقوم أول ما تقوم على أساس صحيح متين هو الزواج، الذي يقرن حياة الإنسان الجنسية والاجتماعية بامرأة واحدة أو اثنتين أو ثلاث أو أربع، بطريقة منظمة، دقيقة وفريدة، تحفظ النسل أولاً، وتحفظ المودّة والقربى، وتحفظ الأنساب، وتحفظ الإنسان كذلك معافى من الأمراض الفتاكة كالإيدز والزهري والسفلس وغيرها من أمراض قاتلة!!

هذا من حيث العلاقة الجنسيّة بين الذكر والأنثى، أما من حيث الحريّة الشخصيّة في اللباس مثلاً، فلا يخفى على عاقل مفكر ما جرته الحياة الغربية على الناس من ويلاتٍ بسبب عرضها لكافة ألوان وأنواع اللباس الفاضح الخليع، حتى أصبحت المرأة في هذا اللباس عبارة عن أداة للعرض، أو تحفة تجمّل من أجل النظر والاستمتاع بصورها!!

فهذه الحرية قد جلبت الويل على مجتمع الغرب، حيث أصبحت المرأة في ظل حرية اللباس عبارة عن أداة عرض للرجال، وبالتالي أصبحت عرضة للاعتداء والاغتصاب والمزايدة عليها بسبب عرضها لمفاتنها في الشارع، وفي المؤسسة، وفي النادي، وعبر وسائل الإعلام المتنوعة والمتعددة.

أما الإسلام فقد وضع حدوداً وقيوداً لهذا اللباس يحفظ على المرأة أنوثتها، ويحفظ عليها عِرضها، ويحفظ كذلك نفسها من اعتداء المعتدين ونفوسهم المريضة.

أما من حيث حفظ الأنساب، فإن الإنسان يعرف قيمة تقييد الحرية الشخصية بشكل واضح وجليّ عندما يرى الظلم الذي يقع على اللقطاء

وهم بالآلاف في مجتمعات الغرب. فمن الذي أوجد هؤلاء اللقطاء؟ أليست الحرية الشخصية في إقامة العلاقات الجنسية بصورة مفتوحة دون أية قيود؟! هذا بعضٌ ممّا يتعلق بموضوع الحرية الشخصيّة.

وكمثال آخر عن الحريات **حرية التملّك** فإنها جرّت على المجتمع الغربي الويلات العظيمة والمتعددة، حيث جعلت طبقةً معينةً في المجتمع تتحكم في مصير الناس، وفي حياتهم بسبب هذه الحرية.

فحرية التملك فتحت الباب على مصراعيه في إنشاء البنوك الربوية التي تمص دماء الناس، وتكدّس الأموال في أيدي طائفة منهم، وفي إنشاء الشركات العملاقة التي تمثل صورة الحوت في البحر والذي يلتهم كل الأسماك الصغيرة في طريقه، وهذا بالتالي جعل جميع طبقات المجتمع تحت رحمة الرأسماليين الكبار أصحاب الشركات الكبرى. فهم الذين يتحكمون بالأسعار وبالأجور، وهم الذين يتحكمون حتى في القرار السياسي في المجتمع، كما هو ظاهرٌ في انتخابات أميركا.

هذه بعض النماذج التي يمكن عرضها لمجتمع الغرب أثناء الحديث عن فكرة الحريات، وبالتالي وَضع الإنسان الغربي أمام الحقيقة الساطعة وهي أن الإنسان إذا أطلق العنان لنفسه يصنع ما يشاء، ويضع القانون الذي يراه مناسباً بحرية تامة فإنه يدمّر حياته بيديه. فالحرية دمارٌ للإنسان، وبالتالي يحتاج هذا الإنسان لقيود تضبط حياته في كل الأمور، سواء أكانت الشخصية، أم المالية، أم العقلية؛ بمعنىً آخر إن فكرة التقييد للحرية التي ينتقدها الإنسان الغربي هي رحمةٌ لهذا الإنسان وليست شراً كما يتصور.

فالإسلام يضع قيوداً على حرية الإنسان الشخصية من أجل حفظ

الأعراض والأنساب، ويضع قيوداً أيضاً على حرية الإنسان في الملكية؛ لأن إطلاق يد الإنسان ليمتلك كيف يشاء دمار على قطاع عريض من أبناء المجتمع، وحتى على الإنسان نفسه، عندما يتجر بالمخدرات والسموم.

هذا ما يتعلق بفكرة الحريات التي سيتخذها ساسة الحكومات في بلاد الغرب غرضاً تحريضياً ضد الإسلام بشكل عام، وضد الدولة الإسلامية بشكل خاص.

قلب الحقائق التاريخية وطرق التصدي لها:

ما زلنا نتحدث عن الحرب التضليلية، وسياسة التشويه ضد الدولة الإسلامية في بلاد الغرب، ومن تلك الأساليب الوضيعة الهابطة (قلب الحقائق التاريخية).

إن مسألة قلب الحقائق لتشويه صورة التاريخ الإسلامي من قبل المفكرين الغربيين ليست أمراً جديداً، ولن تكون كذلك عند قيام الدولة الإسلامية.

فإذا رجعنا قليلاً إلى أوائل القرن الماضي، أو إلى أواسط القرن التاسع عشر، نجد أن هذه السياسة الغربية كانت ومازالت تدأب بقصد على تشويه صورة الإسلام، وصورة التاريخ الإسلامي الذي يمثل سيرة الخلفاء والقادة.

فقد حاول الغربيون -وخاصة المستشرقين منهم- تشويه صورة التاريخ الإسلامي في عهد الخلفاء الأمويين، وفترة الخلفاء العباسيين، ولم يسلمْ منهم حتى بعض الخلفاء الراشدين مثل الإمام علي رضي الله عنه، وبعض القادة في عهد الخلفاء الراشدين مثل خالد بن الوليد رضي الله عنه.

لذلك سيعيد المفكرون الغربيون بمساندةٍ من دولهم الكافرة، الحاقدة على الإسلام وأهله، والعاملة لهدم دولة الإسلام، سيعيدُ هؤلاء المفكرون الكرّة مرة أخرى في تشويه صورة التاريخ الإسلامي، وعرضه في أبشع صورة يمقتها الغرب.

ومن الصور التي سيركّز عليها المفكرون الغربيون في هذه الحرب القذرة الكاذبة، صورة الفتنة التي حصلت في صدر التاريخ الإسلامي، في

بداية العهد الأموي ونهاية الخلافة الراشدة، أي فتنة الحرب التي حصلت بين الإمام علي (كرم الله وجهه)، ومعاوية بن أبي سفيان (رحمه الله)، ومن الصور أيضاً صورة الخلفاء في عهد بني أمية، وخاصةً بعض الإساءات التي حصلت في مسائل الحكم والاستخلاف، والصراعات السياسية، وسيحاولون أيضاً إظهار بعض الصور المقلوبة عن الخلفاء العباسيين مثل هارون الرشيد، وغيرهم.

ومن الأمور الكاذبة التي يحاول الغربيون دائماً قلب الصورة فيها، ربط الفترة الذهبية من التاريخ الإسلامي في عصوره الوسطى، مع تلك التي عاشتها أوروبا في الفترة نفسها، حيث يحاول الغربيون دائماً قلب صورة الرقي والتقدم والقوة ليربطوها بتلك الفترة الظالمة المظلمة في تاريخ أوروبا في عهد رجال الدين والكنيسة.

أما الصورة التي سيحاول بها مفكرو الغرب وساستهم قلب الحقائق عن الإسلام، فهي صورة الحاضر الإسلامي، بعرض صورِ الظلم الذي يمارسه حكام المسلمين تحت شعار الدولة الإسلامية، وصورة الفقر والتأخر في كل شيء التي تعيشها الشعوب الإسلامية في بلاد العالم الإسلامي.

أما بالنسبة لصورة التاريخ الإسلامي، فقد قلنا إن التاريخ ليس حجّة على الفكر والتشريع لأي دين أو فكر، إنما الفكر هو الحجّة على حامليه، وعلى غيرهم، فالبحث يجب أن ينصب على صحة الفكر الذي يحمله دعاة التغيير الجدد في ظل هذه الدولة الجديدة أو خطئه، وليس على التاريخ الإسلامي؛ لأن التاريخ الإسلامي لا يصلح أساساً للحكم على فكر المبدأ؛ لأنه غير منقول بطريقة دقيقة، فهو عرضة للمادح والقادح حسب الأهواء،

وحسب الوقائع السياسية التي مرّ بها العالم الإسلامي خلال العصور المتعددة.

فلو نظرنا مثلاً إلى فترة الخليفة العباسي هارون الرشيد، رحمه الله، لرأينا أن المؤرخين قد كتبوا في تاريخه على شاكلتين مختلفتين، فالفريق الأول ذهب إلى أن هارون الرشيد كان رجل خمرةٍ ونساء وجوارٍ، والفريق الثاني (وهو المنصف) ذهب إلى إنصاف هذا الرجل، فوصفه بأنه رجل عدل وجهاد وفتوحات، ووصف الفترة التي عاشها من العهد العباسي بأنها فترة ذهبية، كان فيها التقدم العلمي والعدل والرخاء، وتطبيق شريعة الإسلام.

لذلك يخاطب المجتمع الغربي وخاصةً المفكرين فيه، وتُلفت عقولهم إلى الأمور التالية:

١ـ إن التاريخ ليس حجةً على الفكر أبداً، وإنما الأفكار والمبادئ هي التي تناقش.

٢ـ إنه لا توجد فترة من التاريخ الإنساني إلا وحصلت فيها إساءاتٌ في التطبيق وبعض الأخطاء، ولا يستثنى من ذلك المسلمون. فالمسلمون حصل في تاريخهم الطويل بعض الإساءات في التطبيق من قبل الخلفاء والأمراء والقادة، وتُعرف هذه الإساءات من خلال مقارنة الأفعال بمبدأ الإسلام.

هذا من جهة، ومن جهة ثانية فإن البشر بوصفهم بشر تحصل عندهم الأخطاء، لأن هذه هي طبيعة الإنسان بشكل عام، فالخلفاء الراشدون حصل في تاريخهم بعض الأخطاء البسيطة، والتي سرعان ما كانت تُصحّح وتُقوّم نتيجة وجود روحِ المحاسبة عند المسلمين، ووجود روح القبول والتقوى عند الخلفاء.

٣ـ إن التاريخ الإسلامي ـسواء أكان في عهده الأوّل أم الأخيرـ لا يقارن أبداً بتاريخ العصور الوسطى عند الأوروبيين، بل شتّان بين هذا وذاك. فالتاريخ الإسلامي شهد فترةً من التقدم العلمي والازدهار الفكري، ما جعل المؤرخين من المستشرقين يشهدون لذلك، ومن هؤلاء المستشرقة الألمانية (**زغرد هونكه**) في كتابها المشهور (**شمس العرب تسطع على الغرب**) ومنهم أيضاً الرئيس الأميركي الأسبق (**نيكسون**) في كتابه المشهور (**أميركا والفرصة السانحة**) ومنهم أيضاً العديد من الكتاب.

بينما كانت فترة العصور الوسطى عند الأوروبيين فترةً من الظلم والظلام الذي لا يوصف، وكانت فترةً خرج فيها رجال الدين على كل تعاليم الدين النصراني، وابتدعوا خرافاتٍ لم تنزل في دين ولا يقبلها عقل، وفوق ذلك قسّموا الناس إلى طبقتين طبقة أشراف ونبلاء، وطبقة عبيد وخدم لا يجدون كفافاً من عيش ولا يتملّكون شيئاً، وقادوا الناس إلى حروب طاحنةٍ بين أتباع الدين النصراني ذهبَ ضحيّتها الآلافُ بل الملايينُ من النصارى من أبناء الطوائف المتعددة، مثل مذبحة الأليخيّين في جبال الألب.

٤ـ إن مقارنة العصور الوسطى بالتاريخ الإسلامي هي مقارنةٌ ظالمة ضالة؛ لأن العصور الوسطى أو غيرها من عصور الدين النصراني لم تحصل فيها أي نهضةٍ على أساس الدين، وإنما حصل هبوطٌ وتأخرٌ في كل شيء، وهذا بعكس الدين الإسلامي الذي أنقذ الناس من الجاهلية والخرافة وعبادة الأصنام، ورفعهم إلى المستوى الإنساني المكرّم الرفيع.

هذا ما يتعلق بمسألة التاريخ الإسلامي وقلب حقائقه في نظر الشعوب

الغربيّة. أما صورة الحاضر الإسلاميّ، أي عرضُ صورة الحكام المسلمين، والشعوب الإسلاميّة في العالم الإسلامي، فإن هذه القضية تُعالج وتصحّحُ في أعين الغربيين، ويكون ذلك بتفهيم الشعوب الغربية أن الحكام في بلاد العالم الإسلامي يمثلون الظلم والابتعاد عن الإسلام وأحكامه الصحيحة، ولا يمثلون الإسلام في شيء، ولا يُستثنى من ذلك حكام السعودية أو إيران أو السودان أو غيرهم من حكام دول تدّعي كذباً تطبيق الإسلام.

فالفقر والتأخر العلمي والظلم المنتشر في بلاد المسلمين هو بسبب عدم تطبيق الدين الإسلامي تطبيقاً صحيحاً وليس بسبب تطبيق الإسلام.

ويُبرهن للشعوب الغربية على هذه المسألة المهمة بعرض صورٍ من الإسلام في النواحي الثلاث: السياسية والاجتماعية والاقتصادية، ومقابلة ذلك بما هو مطبّق من قبل الحكام الظلمة في العالم الإسلامي.

كما يبرهن على ذلك للشعوب الغربية بعرض صورٍ من التاريخ الإسلامي المشرق عندما طُبّق الإسلام تطبيقاً صحيحاً، وكيف عمّ التقدم والرقيّ كل أنحاءِ الأرض التي حكمها الإسلام.

كما يُلفت نظر الغرب إلى المسلمين الذين يعيشونَ في بلاد الغرب، وكيفَ نهضُوا في النواحي الفكريّة أكثر من أبناء الغرب أنفسهم فأصبح منهم العلماءُ في كل مناحي العلوم المدنية، ولو كان الإسلام هو سببَ التأخر عند الإنسان لما نهض هؤلاء وهم من أبناء المسلمين!.

وبذلك تُصحّح الصورة عند أبناء الغرب عن الإسلام، وتُلفت أنظارُهم إلى واقعهم السيئ الذي يعيشونه رغم التقدّم العلمي الباهر والثورة التكنولوجية والمعلوماتية، ويوجّهون نحو طريق الخلاص من هذا الشقاء الذي

يعانون منه، وتعاني منه البشريّة بشكلٍ عام بسبب الجشع الرأسمالي المقيت، ويُفهّمون أن طريقَ الخلاص لأَبناءِ البشريّةِ جميعاً هو المبدأ الصحيح الذي يستندُ إلى عقيدةٍ (أساسٍ) صحيح، وإلى بناءٍ سليم صحيح ينبثق من هذه العقيدة الصحيحة.

والحقيقة، إن هذا الموضوع يحتاج إلى جهودٍ جبارة من قبل العاملين في دولة الخلافة، بواسطة عدّة طرقٍ ووسائل؛ وخاصة وسائل الإعلام داخل هذه الدول، وعن طريقِ شباب الدعوة من الذين عاشوا داخل دول الغرب قبل قيام الدولة؛ لأنهم يفهمون مبدأ الغرب أكثر من غيرهم، ويعرفون عُواره الفكري والمادي، ويُحسّون بهذا العُوار عملياً في واقع شؤونِ الحياة كلها؛ لذلك يقوم حملةُ الدعوة في أميركا ودول أوروبا بدورِ إيصال رسالة دولة الإسلام في حمل مبدئه وأفكاره، وبالإضافة إلى ذلك تقوم الدولة الإسلامية بدعوة المفكرين إلى لقاءاتٍ فكرية علنية أو سرية داخل التجمعات العامة مثل المدارس والجامعات ومراكز الأبحاث.

وبإذن الله تعالى فإن هذه الجهود التصحيحية البيانية ستؤتي ثمارها في بلاد الغرب؛ ستؤتي ثمارها في كشف زيف الحكام الغربيين وحقدِهم على مبدأ الإسلام، وستكشف سياساتِهم المضلّلة المغرضة، وستؤتي ثمارها كذلك في بيان مبدأ الإسلام مقابلَ المبدأ الغربي السقيم، وبذلك سيدخلُ الناس في دين الله أفواجاً بدل أن يُصدّوا عنه ويكونوا له أعداءً.

ثالثاً: الحصار بأنواعه الثلاثة: السياسي، الاقتصادي، الفكري

النوع الثالث من التحديات الخارجية هو: الحصار بأنواعه الثلاثة: الاقتصادي، والسياسي، والفكري:

وهذا النوع من التحدّيات هو من ألوان الحرب العاتية التي ستعلنها دول الكفر على دولة الخلافة الإسلامية الموعودة، وذلك للقضاء عليها، والحيلولة دون قوتها واشتداد عودها وشوكتها، ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [التوبة ٣٢]، وقد يترافق هذا النوع من أنواع التحديات الخارجية، مع الحرب المادية وسياسة التضليل والتشويه، وقد يكون مرحلة متقدمة أو متأخرة عن الشكلين الأولين، وذلك حسب برامج السياسة الحاقدة التي يفكر بها الغرب ويضع لها الخطط. ولكن غالباً ما تكون الأنواع الثلاثة في الوقت نفسه، وذلك للإسراع في القضاء على هذا النور الجديد (حسب أمنياتهم وتوقعاتهم).

على أية حال، سواء تزامن هذا اللون وترافق مع غيره، أم جاء مرحلة متقدمة أو متأخرة، لا بد من وضع تصور صحيح للخطط والوسائل والأساليب المحتملة في ذلك، ووضع الحلول الشرعية، والخطط والأساليب في مواجهتها.

ولكن قبل الحديث عن موضوع الحصار المتوقع، لا بد من فهم بسيط لواقع الحصار، وذكر بعض ألوانه من الماضي.

الحصار في لغة العرب، ورد في الصحاح للجوهري: حَصرهُ يحصُره

ضيّق عليه، والحصير الضيّق البخيل، والحصيرُ: الملك، لأنه محجوب، والحصيرُ أيضاً: المحبس: قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾ ﴾ [الإسراء ٨] والحَصَرُ: ضيّق الصدر، يقال: حَصرت صدورهم أي ضاقت. وتأتي أيضاً بمعنى المنع قال تعالى: ﴿ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ ﴾ [البقرة ١٩٦] أي مُنعتم من الحج بواسطة مانع من مرض أو عدوّ أو غيره... وهذا المعنى للحصار يقود لبيان واقع الحصار من أجل تحقّقه في أرض الواقع.

فالمنع والتضييق والحبس، لا بد له من وسائل وأساليب تُمارسها دول الكفر لتحقّقها في أرض الواقع.

ومن **الوسائل والأساليب** التي تتبعها الدول في مسألة الحصار:

١ـ **القانون الدولي**: أي اتخاذ قرارات دولية ملزِمة للدول الأعضاء في هيئة الأمم المتحدة، تُلزَم فيها الدول الاستعمارية الكبرى المعادية للإسلام، وتُلزم فيها كافة الدول العربية وغير العربية من دول العالم الإسلامي، باتخاذ إجراءات المقاطعة الدولية ضد هذه الدولة الخارجة عن إرادتهم (**الدولة الإسلامية**)، وبوضْع خطوات عملية لمراقبة هذا الإجراء، واتخاذ إجراءات عقابية للمخالف في ذلك. وقد نص قانون الأمم المتحدة على هذه المسألة في المادة الرابعة(٤)، حيث جاء فيها: «يحق لمجلس الأمن أن يفرض العقوبات الجوية أو البرية ضد كل من يهدد السِلْم والأمن الدوليين» وقد نصت المادة (١٦) من ميثاق عصبة الأمم سابقاً، والمادة (٤١) من ميثاق الأمم المتحدة الحالي: أن «لمجلس الأمن سلطة اتخاذ قرارات ملزمة للدول الأعضاء بأن توقف علاقاتها الاقتصادية والمواصلات الحديدية والجوية والبريدية والبرقية واللاسلكية وقفاً تاماً، كلياً أو جزئياً، ضد الدولة التي تهدّد السِلْم أو تقوم

بالعدوان» (**الموسوعة السياسية، عبد الوهاب الكيالي ١٣٥/٤**) ومن أمثلة العقوبات التي فُرضت عن طريق الهيئات الدولية: العقوبات على إيطاليا عام (١٩٣٥م) بقرار من عصبة الأمم، والعقوبات على روديسيا عام (١٩٦٨م) بواسطة مجلس الأمن، وكذلك العقوبات التي فرضتها أميركا عن طريق هيئة الأمم المتحدة على ليبيا سنة (١٩٩٢م) بسبب اتهام ليبيين بتفجير طائرة بان أميركان فوق لوكربي في إسكتلندا عام (١٩٨٨م) والعقوبات التي فرضتها الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي على ليبيا سنة (١٩٨٦م) بسبب اتهام ليبيا بدعم جماعات إرهابية، والعقوبات التي فرضتها أميركا عن طريق الأمم المتحدة على العراق في الحصار الشهير سنة (٩١/٩٠)أي بعد انتهاء حرب الخليج الأولى.

وفي حالة اتخاذ هذا الإجراء الدولي ضد الدولة الإسلامية، تُمنع الدول المجاورة، أو الدول البعيدة من أية معاملات، أو علاقات تجارية، أو تبادلية، أو معونات، أو مساعدات عينية وغير عينية، ـتُمنع من تقديمها للدولة الإسلاميةـ بشكل علني ظاهر، أو حتى بشكل سري مخفيّ.

٢ـ **عن طريق الدول العميلة للاستعمار**، وخاصة الدول المحيطة والمجاورة للدولة الإسلامية، وهذا الإجراء يُتخذ بشكلٍ سريعٍ دون الرجوع لقرارات الأمم المتحدة، بل بإشارةٍ من الدول الكبرى مثل أميركا وبريطانيا وفرنسا... وغيرها، وهذا النوع هو من أخطر أنواع الحصار وأكثرها ضرراً على الدولة الإسلامية.

٣ـ **عن طريق فرض الإجراءات بممارسة القوّةِ العسكرية**، وذلك كما فعلت بعض الدول في الحرب العالمية الثانية، كألمانيا مع روسيا في حصار

لينغراد في الحرب العالمية الثانية، واستمر هذا الحصار (٨٧٢) يوماً، ومات فيه أكثر من مليون إنسان.

أو كما فعل نابليون في حصاره الشهير لمدينة عكّا سنة (١٧٩٩م ـ ١٨٠٠م)، واستمرّ أكثر من ستة أشهر متواصلة. أو كما فعلت الدول النصرانية في الحملة الصليبية الأولى عندما فرضت حصاراً على مدينة القدس سنة(١٥٩٩م) حيث استمر هذا الحصار حوالى أربعين يوماً، وانتهى بسقوط القدس بيد الصليبيين في شعبان من ذلك العام. وحصل حصار شهير في التاريخ الإسلامي على الدولة الإسلامية وعاصمتها (بغداد) من قبل المغول سنة (٦٥٦ هـ)، واستمر من محرم حتى شهر صفر أي حوالى شهر إلى أن سقطت بغداد، وانهارت الدولة العباسية سنة(٦٥٦ هـ).

هذا من حيث الحصار كمعنى وواقع، ومن حيث الأساليب والوسائل التي تُتخذ لإجرائه وتنفيذه في أرض الواقع.

أما من حيث المسوغات والحجج لفرض هذا الحصار على دولة كالدولة الإسلامية، فلا بد لهذا الإجراء من مقدمات، لإقناع المجتمع الدولي، والشعوب في دول المجتمع الدولي، بهذا الإجراء الجديد. فقد حصلت ألوان من الحصار في تاريخ المسلمين، من قبل الدول الكافرة، واتخذت لذلك المسوغات والحجج الواهية الكاذبة.

ومثال ذلك الحصار على الرسول ﷺ وصحبه في مكة المكرمة، حيث كانت الحجة لهذا الحصار، المحافظة على مكانة السيادة والريادة التي تحظى بها قريش بين قبائل العرب، وكذلك المحافظة على تراث الآباء والأجداد (الأصنام)، والمحافظة على السيادة والزعامة الداخلية. وكذلك

الحصار الذي ضربه الكفار من قبائل العرب حول المدينة المنورة في غزوة الأحزاب، بحجّة تهديد طرق التجارة ومزاحمة قريش مكانتها في الزعامة). وهناك حصار فرضته الدول الكافرة بزعامة أوروبا النصرانية تحت منظومة (عصبة الأمم المتحدة) على الدولة الإسلامية العثمانية، بحجة معاداة الدولة الإسلامية للدول الأوروبية، وعدم قبولها بالأعراف الدولية، واستمر هذا الحصار حتى القضاء على الدولة العثمانية سنة (١٩٢٤م).

والحقيقة، إن المسوغات عند الدول الاستعمارية لفرض الحصار على الخلافة الإسلامية الموعودة قد بدأت بها بالفعل هذه الأيام قبل قيام الدولة الإسلامية، ومن هذه المسوّغات والحجج ما تقومُ به الدول الاستعمارية الكبرى من (حرب على الإرهاب)، وإلصاق لكلمة الإرهاب بأي اسمٍ للإسلام فيه معنى الاستقلالية، أو القوة، أو السعي للانفصال عن تبعية الغرب، وما تقوم به كذلك من سياسات تضليلية وإعلامية عن طريق من يُسمَّوْن بالعلماء (علماء السلطان)، في افتراء أحكام كاذبة تتعلق بالإسلام، مثل التسامح الديني، واحترام الآخر، والوسطية، وإلغاء فكرة الكفر، وإلغاء فكرة الجهاد وتحريفها من حرب هجومية لتحطيم الحواجز المادية من أمام الإسلام، إلى حربٍ دفاعية فقط، وفي نفس الوقت اتهام المخلصين من حملة الدعوة لإعادة الإسلام بالتشدد والانحراف عن الصواب.

والدول الاستعمارية ـهذه الأيامـ تسعى بشكلٍ حثيثٍ لاستصدار قانون عالمي تعرّف به الإرهاب، وتُقدم لذلك بهذه المقدمات المضللة الإجرامية عن طريق علماء السلاطين، وسيكون هذا القانون ضد فكرة الجهاد، وضد فكرة الإسلام السياسي، وضد فكرة المفاصلة ما بين الكفر

والإسلام، بمعنى آخر، ستسعى دول الكفر لجعل قانون (مكافحة الإرهاب) ضد أي شيء فيه معنى للإسلام السياسي الصحيح، أي ضد أي شيءٍ يعمل بخطٍّ معاكس لسياستهم، ومن ذلك (الدولة الإسلامية)، أي ستصنَّفُ الدولة الإسلامية المخلصة ضمن قانون (مكافحة الإرهاب العالمي).

هذا من ناحية دولية، أما الناحية الشعبية والجماهيرية، فإن الدول الكافرة تتبع سياسات تضليلية مكثفة ضد الإسلام كدين، وضد المسلمين كحملة لهذا الدين. وقد تحدثنا عن هذه النقطة سابقاً.

وبناءً على هذه الأكاذيب والأضاليل الدولية والشعبية في بلاد الغرب وفي بلاد المسلمين المجاورة، ستفرض الدول الكافرة سياسة التضييق، والمنع، وقطع المساعدات والهبات والمعونات من الدول المجاورة للدولة الإسلامية، وستقوم بتجييش الجيوش والأساطيل، سواء من الدول الكبرى نفسها، أم من الدول المجاورة للدولة الإسلامية، وستفرض كذلك حالةً من العزلة الدولية: سياسية، وفكرية، واقتصادية، ونقدية، على هذه الدولة. نعم.. إن أميركا ودول أوروبا ستلجأ حتماً إلى فرض الحصار الاقتصادي والسياسي والفكري على الأقل على هذه الدولة، إن لم يكن أيضاً الحصار العسكري الذي يتزامن مع ذلك.

أما الهدف من هذه السياسة الظالمة الجائرة المعادية، فهو: تضييق الخناق على الناس داخل الدولة الإسلامية، وذلك من أجل صرفهم عن هذه الدولة، ومطالبة حكامها بتغيير نظرتهم وتطلعاتهم للبلاد الكافرة، أي من أجل التخلي عن فكرة الدولة الإسلامية بمعناها الصحيح الدقيق الذي يرضى به رب العزة جلّ جلاله.

إن الخلافة الإسلامية الموعودة ستواجه حتماً هذا اللون من العداء والحرب، والصد عن سبيل الله تعالى لردها عن هدفها، ولفض الناس عن حمايتها والوقوف إلى جانبها، والتضحية بالغالي والنفيس في سبيل إعزازها وتمكينها.

أي أن هذه الدول الكافرة المجرمة المتغطرسة ستقوم بمنع كل ألوان وأنواع التبادل التجاري مع الدولة الإسلامية، سواء أكان ذلك متعلّقاً بالمواد الغذائية أم بالطاقة، أم بالسلاح، أم بغيرها من سلع وخدمات. وستجيّش الجيوش ـ كما ذكرنا ـ لحراسة هذا الحصار، سواء أكان عن طريقها مباشرة تحت غطاء منظومة الأمم المتحدة، أم عن طريق عملائها في الدول الحدودية المجاورة، أم عن طريق القوة العسكرية لدولة أو مجموعة دول من الدول الكافرة.

والحصار معناه نقص في كل المواد الغذائية وغير الغذائية، أي معناه انكماش إمكانات الدولة داخل حدودها. وعلى الدولة الإسلامية والقائمين عليها أن يضعوا البرامج المسبقة لهذا الحصار حتى لا يقع الناس في بلبلة الإعلام والدعاية المغرضة، ودعاية المنافقين العملاء داخل هذه الدولة، وذلك كما حصل من المنافقين في عهد الرسول ﷺ في غزوة الخندق.

فما هي الخطوات الداخلية العملية الواجب اتخاذها داخل حدود الدولة وخارجها، أولاً للصمود والتصدي، وثانياً لفكّ هذا الحصار، وفضّ الإجماع الدولي القائم عليه؟!

أما بالنسبة للأمر الأول وهو وضع الحسابات لكل الاحتمالات في استمرارية هذا الحصار لأيامٍ أو لأشهر أو سنوات، فيجب أن يُركّز على

ثلاثة أمور رئيسة. **الأول**: (ما يتعلق بالتعبئة العامة المعنوية في وجه هذا الحصار). **الثاني**: (وضع البرامج التي تسدّ الخلل الحاصل بسبب الحصار، وذلك عن طريق التكافل، والاقتصاد في النفقات، وعن طريق استغلال كافة الطاقات الموجودة في الداخل بغض النظر عمن يملكها، ثم احتسابها كديون على الدولة، أو احتسابها من قبل أصحابها كتبرّعات ومساعدات، وبعد ذلك عمل برنامج شامل في توزيعها حسب الحاجة الملحّة). **الثالث**: (العمل على استغلال كل الإمكانات والطاقات الموجودة داخل الأرض أو خارجها من معادن وزراعة وصناعة وغير ذلك، وذلك لمحاولة سد الخلل والنقص الحاصل بسبب الحصار).

هذه هي الخطوات الداخلية التي يمكن للدولة أن تستعين بها داخلياً في التصدّي للحصار والوقوف في وجهه.

أما الخطوات الخارجية التي يمكن للدولة القيام بها، فتتركز على ثلاثة أمور مهمة:

١ـ اختراق الحصار

٢ـ العمل على فك الحصار بكافة السبل الممكنة.

٣ـ استغلال مسألة الحصار في تحريض المسلمين ضد الحكام العملاء في الدول المجاورة، واستغلاله أيضاً في محاربة أفكار الكفر ومبادئه.

طرق التصدي للحصار

تحدثنا في الموضوع السابق عن واقع الحصار الذي تتخذه دول الكفر أداة في الصد عن سبيل الله تعالى؛ وذلك لإجبار المسلمين على التخلي عن تميّزهم، وعن تمسّكهم بأحكام ربهم، عن طريق تطبيق شرع الله تعالى في دولة وسلطان. وهذا مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ ﴾ [الإسراء ٧٣] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ ﴾ [آل عمران ١١٨] ﴿ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُواْ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [الممتحنة ٢].

فهل تستسلم الدولة الإسلامية لهذا الظلم وهذا الكفر والصد عن سبيل الله، أم أن الواجب عليها أن تقف في مواجهته بكل ما أوتيت من قوة؟!

إن الواجب هو أن تصمد في وجه هذا الحصار، وأن تتخذ إجراء الحياة أو الموت تجاه هذا الأمر، وهذا يستلزم من الدولة والقائمين على رعاية أمورها وضع الخطط العملية، الداخلية والخارجية، لمواجهته.

وقبل عرض الخطوات العملية الداخلية والخارجية في التصدي والوقوف في وجه هذا الحصار، نقول: إن الواجب على الدولة الإسلامية أن تقف على أقدامها شامخةً راسخةً في وجه أي تقصّد واعتداء من قبل الكفار، مهما كلف ذلك من شهداء؛ لأن عكس ذلك هو الرضوخ والوقوع تحت

أقدام الكفار، وتحت تسلطهم وغطرستهم وظلمهم، وتتذكر الأمة قول الله عز وجل: ﴿ وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ ﴾ [آل عمران ١٣٩] وقوله: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [المنافقون ٨] وقوله: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًا ﴾ [فاطر ١٠] أي أن طريق العزّة هو في الوقوف، لا في الرضوخ والرضا بما يريده أهل الكفر.

طرق التصدي الداخلية للحصار

أولاً: التعبئة العامة المعنوية في وجه الحصار. إن مسألة التعبئة العامة تحدثنا عنها في المواجهة والتصدي للحرب المادية المعلنة على الدولة الإسلامية. والحقيقة، إن موضوع التعبئة يلزم في أيّ أمرٍ من أمور التصدّي والمواجهة أو الجهاد وحمل الدعوة، فهي من أكبر الأسلحة وأقواها، ولا نبالغ إن قلنا إنها أقوى من سلاح الذرة؛ لأن سلاح الذرة للشعب المهزوم، المحطّم المعنويات لا يزيده إلا هزيمةً فوق هزيمة، وأكبر مثل على مسألة المعنويات هو ما تلاقيه أميركا من هزائم متكررة في عدة مناطق في العالم بسبب المعنويات المتدنية عند جنودها، وبسبب عدم القناعة الفكرية عند أغلب الجنود في برامج الحرب وأساليبها وأهدافها.

وفي مسألة التعبئة العامة يُركّزُ على أمورٍ أبرزها:

١ـ أهداف الكفر وغاياته: وعند هذه المسألة يجب أن يُبرز للأمة أهداف الكفار من فرض الحصار، حيث إنه يهدف للقضاء على الأمة المسلمة وتطلعاتها وغاياتها كأمة عريقة تهدف للخلاص من تبعية الكفار، ومن تسلطهم وظلمهم قال تعالى: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن

دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْۚ ﴾ [البقرة ٢١٧] وقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ﴾ [الأنفال ٣٦] وقال: ﴿ وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءٗۖ ﴾ [النساء ٨٩].

٢ـ **إبراز مسألة المفاصلة والتناقض بين الكفر وأهله، والإيمان وأهله**، وهذه المسألة ضرورية جداً في إظهار روح التصدي والمواجهة والحميّة الدينية عند أبناء الأمة داخل الدولة.

فالكفر والإيمان خطان متناقضان ومتصادمان لا يلتقيان أبداً، قال تعالى يبين حقيقة المفاصلة: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ ﴾ [المائدة ٥١] **وقال:** ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةٗ مِّن دُونِكُمۡ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالٗا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمۡ قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُۚ ﴾ [آل عمران ١١٨].

٣ـ **إبراز مسألة الصبر وإبراز مواقف الرسول عليه الصلاة والسلام** وهو الأسوة والقدوة الحسنة، حيث تعرض لأشد أنواع المعاداة والحصار من قبل الكفار، ومع ذلك لم تلن له عزيمة رغم أنه أكل أوراق الشجر في مكة المكرمة أثناء حصار الشعب، وكذلك جاع، وتحمل العنت والمشقة مع أصحابه بعد الهجرة، وأثناء الحرب الشريرة التي خاضها الكفار ضدهم في المدينة المنورة، وصبر رغم ذلك حتى أذن الله بالنصر والفرج.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٢٠٠ ﴾ [آل عمران ٢٠٠]، وقال: ﴿ فَلَا تَهِنُواْ وَتَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلۡمِ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمۡ وَلَن يَتِرَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ ٣٥ ﴾ [محمد ٣٥] وقال:

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾ [البقرة ٢١٤].

وقال عليه الصلاة والسلام: «... **قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض ثم يوضع فيها، ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على مفرق رأسه فيجعل نصفين، ثم يؤتى بأمشاط الحديد فيمشط ما دون لحمه وعظمه ما يصده ذلك عن دينه. والله ليتمنّ هذا الأمر، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخشى إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون**».

فمثل هذه الآيات والأحاديث يجب أن تتردّد على ألسنة العلماء في كل مناسبة، لبث روح التصدّي والمواجهة والثبات والتحمّل للشدائد والصعاب.

٤ـ **تذكير الأمة بمعنى العزّة والكرامة والرفعة والشموخ**، وأن هذا الكفر ـعن طريق الحصارـ يريد أن يسلب الأمة حقها كأمة مسلمة أراد لها الله تعالى أن تكون عزيزة أبية رفيعة النجاد، طويلة العماد، وأنّ هذا الكافر المجرم يريد أن يسلب من الأمة هذه المكرمة الرفيعة ﴿**حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم**﴾ وذلك عن طريق الحصار الاقتصادي، والضغط على الناس ليثنيهم عن هذا الهدف السامي الجليل: الدولة الإسلامية، حصن العزة والمنعة والقوة.

فيجب أن تُذكر الأمة بماضيها العزيزـعندما كانت أمةً عزيزةًـ كيف كانت حالها، وكيف كانت أفعالها خارج حدودها.

ومن أجل هذه الأمور الأربعة وهي (أهداف الكفار، والمفاصلة، والصبر، وتذكير الأمة) من أجل هذه الأمور، تتبع كل الأساليب الممكنة

المتاحة عن طريق وسائل الإعلام، وعن طريق المساجد والعلماء والخطباء المؤثرين وغير ذلك من أساليب.

ثانياً: وضع البرامج لسد الخلل الحاصل والناتج عن الحصار:

فالحصار كما قلنا يؤثر قطعاً على الدولة من حيث الإمكانات الموجودة، سواء أكان ذلك في المواد الغذائية، أم الطاقة، أم مستلزمات الحياة الأخرى الضرورية.

ولمواجهة مثل هذا الحالة يجب أن توضع البرامج الداخلية لسد الخلل، وإيجاد سياسة (للتوازن الاقتصادي) داخل الدولة. فلا يعقل أن يعيش أناس في بحبوحة من العيش داخل الدولة، وغيرهم يتضوّر جوعاً لا يجد كفافاً من عيش، ولا يجوز أيضاً أن يعيش أناس عيش الكفاف بسبب الحصار وغيرهم ينعم في الثروات والأموال!!

ومن أجل تفادي هذا الخطر يجب على القائمين على الدولة الإسلامية أن يضعوا البرامج الآتية:

١ـ اتباع سياسة التكافل بين الناس، وتشجيع هذا الأمر بكل السبل، وتذكيرهم بصنيع صحابة رسول الله ﷺ في المدينة المنورة، حيث تكافلوا، وتقاسموا الأموال لمواجهة هذا الواقع الجديد من الفقر والعوز، ومثال ذلك ما حصل مع الصحابيين الجليلين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع رضي الله عنهما، قال ابن كثير رحمه الله: عن أنس رضي الله عنه قال: قدم عبد الرحمن بن عوف فآخى النبي ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع الأنصاري، فعرض عليه أن يناصفه أهله وماله، فقال عبد الرحمن: بارك الله لك في أهلك ومالك، دلّني

على السوق...).

٢ـ القيام بدراسة اقتصادية كاملة من قبل الخبراء لحجم المواد الغذائية، والطاقة، ومستلزمات الحياة الضرورية، وعمل دراسة مستعجلة أيضاً لأصحاب الحاجات من الفقراء، وإجراء دراسة تتناسب مع حجم المواد وحاجات الأمة الضرورية. وهذه الدراسة ضرورية لتقنين عملية الإنفاق، سواء أكان هذا الإنفاق من موارد الدولة وأموالها، أم الأموال العامة، أم حتى الأموال الخاصة للأفراد؛ لأن هذا ظرف طارئ تصبح معه الأموال الخاصة ضرورية لحياة الأمة وبقائها، فتشملها الدراسة أيضاً.

فالأصل أن لا تجد الدولة نفسها في مأزق بسبب عدم الدراية والاحتياط في المواجهة، بل يجب أن يكون عندها الدراية بكل حاجات الناس الضرورية، وحجم الثروات الموجودة، وكم من الزمن يمكن أن تستمر عن طريق التقنين والاقتصاد، وحسن التوزيع بين الناس.

فالأموال الزائدة عند الأفراد، أو الحاجات الزائدة تؤخذ من الناس عن طريق الإقناع والبيان؛ لأن هذا المال تعلقت به حياة الناس؛ لذلك يؤخذ بقدر ما يحتاج إليه الفقراء وأصحاب الحاجات الملحة الطارئة؛ فهذا يؤدي إلى التخفيف من الأزمة بشكل كبير.

٣ـ الإرشاد والتوجيه في عملية الاقتصاد في النفقة. فالاقتصاد في مثل هذا الظرف ضروري جداً، لأنه يساعد الدولة على استمرارية الصمود. والمقصود بالاقتصاد هنا هو: اقتصار الناس على الحاجات الضرورية من مأكل ومسكن وملبس، وعند أدنى الحدود، فلا يعقل أن يعيش إنسان في بحبوحة من العيش يُنفق على الكماليات وغيره لا يجد الأساسيات

والضروريات من لوازم العيش؛ في مأكل أو مشرب وملبس. فيجبر الأفراد على اتباع سياسة حازمة من الاقتصاد في النفقة من أجل إطالة عمر التصدي والصبر والمواجهة.

ثالثاً: العمل على استغلال كل الطاقات والإمكانات داخل الدولة.

يجب استغلال كل الطاقات والإمكانات الموجودة داخل الدولة سواء أكان ذلك من الموارد الطبيعية كالزراعة والرعي والصيد، أم كان من الموارد الصناعية، وتوفير سبل الطاقة للناس.

وهذا الأمر يحتاج إلى فرق تفعيل وحثّ ومواكبة وإرشاد وتوجيه، فيوجّه الناس إلى كيفية استغلال الأرض بأقصى طاقة ممكنة؛ لأنها هي المصدر الرئيس في مسألة الغذاء، ويوجّهون أيضاً في استغلال مصادر الطاقة بشكلٍ جيّد؛ لأن الطاقة تأتي في المرتبة الثانية بعد الغذاء.

وتسعى الدولة للاحتياط في وسائل الطاقة؛ لأنها عرضة للهجوم والاعتداء من قبل الكفار. فتضع الدولة السبل البديلة لتوفير موارد الطاقة بكل السبل وخاصة موضوع الكهرباء؛ لأنها أصبحت من الوسائل الضرورية في الحياة، وبالتالي فان فقدها يؤدي إلى أزمات داخل الدولة.

هذا ما يتعلق بالمواجهة والتصدي ـداخل حدود الدولةـ للحصار الاقتصادي المفروض من قبل الكفار.

طرق التصدي الخارجية للحصار

أما ما يتعلق بالمواجهة الخارجيّة لهذا الحصار:

فيجب على الدولة أن لا تكتفي بمسألة المواجهة الداخلية فقط، بل يجب عليها أن تعمل على فكّ الحصار واختراقه بكل السبل والأساليب والطرق المتاحة، ويمكن أن تتبع الخطوات الآتية:

١ـ **اختراق الحصار**: فالناظر إلى مسألة الحصار الاقتصادي لأي دولة من الدول يرى أنه لا يمكن إحكامه بشكلٍ كامل، بل لا بد وأن تكون هناك ثغرات يمكن الولوج منها وتجاوزها. فحدود الدولة طويلة، والإحاطة بها من كل جانب يكاد يكون أمراً مستحيلاً.

وهذه المسألة يجب أن يُعدّ لها بشكل جيد عن طريق طواقم الجيش، وأناس مخصوصين لهذه المهمة؛ لأنها تحتاج إلى دراية وخبرة، وفي الوقت نفسه لا يُمنع الأفراد من اختراق الحصار خاصة القريبين من حدود الدول المجاورة إلا في حالة تحقق الضرر العام على الدولة.

فالتسليم بأمر الحصار لا يجوز، بل يجب أن يعمل المسلمون على اختراقه؛ لأن هذا حق من حقوقهم، وهو طريق من طرق أخذ الحق، والموت في سبيل ذلك شهادة. وقد كان عليه الصلاة والسلام يعمل على اختراق المقاطعة في شعب بني طالب بالطرق السرية.

٢ـ **تحريض الشعوب المجاورة للدولة الإسلامية للعمل على فكّ الحصار من طرفهم**، وهذا التحريض يجب أن يركّز فيه على مسألة حرمة السكوت من قبل المسلمين على أمرٍ يفرضُه الكفّار ويسبب الموت والهلاك لطائفة من المسلمين. ويركز أيضاً على الآيات والأحاديث التي تحثّ على التعاون والتناصر، وتنهى وتحرّم أن يبيت مسلم شبعان وجاره جائع. قال عليه الصلاة والسلام: «**أيما أهل عَرصة بات فيهم امرؤ جائع فقد برئت منهم ذمة الله**

تبارك وتعالى». والله تبارك وتعالى يقول: ﴿ **وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ** ﴾ [**الأنفال ٧٢**]، والمناصرة والنصرة تكون بكافة السبل، وفي أيّ أمرٍ يحيكه الكفار ضد المسلمين.

فتحرض الشعوب المسلمة المجاورة على اختراق الحصار عن طريق الحدود، وتحرض كذلك للعمل على فك الحصار الذي تفرضه حكوماتها على شعبٍ مسلم مجاور لها.

وكما تُحرّضُ الشعوبُ المسلمة، تحرّضُ أيضاً الشعوب الأخرى على اختراق الحصار، ويبيّن لها أن السبب في فرض هذا الحصار الجائر على الدولة الإسلامية هو بسبب كونها تحمل فكراً يخالف فكر الاستعمار، وكون الاستعمار يريد لها أن تبقى شعوباً تابعةً متخلّفةً ينهبُ ثرواتها وأموالها، وتحرّضُ الشعوب الكافرة كذلك بواسطة الإغراءات الماديّة لفكّ الحصار واختراقه؛ لأنها شعوب تفكّر بالمنافع والمصالح، ويمكن شراؤها للقيام بأعمال من شأنها اختراق الحصار.

٣ـ **استغلال قضية الحصار في تحريض الشعوب الإسلامية المجاورة، وتحريض الشعوب الكافرة.** فالشعوب الإسلامية المجاورة تُحرّض للقيام بمظاهرات ومسيرات واحتجاجات من أجل مبايعة خليفة المسلمين والانضمام إلى سلطان الخليفة، ومن أجل إسقاط الحكومات التي تقف في صف الكفار ضدّ دولةٍ تعلن قيامها على أساس الدين، وتهدف لنهضة الأمة ورفعتها. وهذا الأمر ـالاحتجاجات والمسيراتـ ليس سهلاً على الحكومات، بل إنها ستسارع إلى امتصاص هذه النقمة الجماهيرية العارمة وذلك عن طريق فك الحصار؛ لأن بقاء الحصار بهذه الصورة يشكل خطراً على كراسيها وعروشها.

أما بالنسبة للشعوب الكافرة في دول الغرب، فإن الدولة الإسلامية عن طريق الإعلام الموجّه، وعن طريق أبنائها في دول الغرب تقوم بنشر الأخبار عن هذا الحصار وإيصالها إلى أسماع الشعوب الغربية، وفي الوقت نفسه التحريض ضد فكرة الديمقراطية وحقوق الإنسان التي تتبناها الشعوب الغربية. فالديمقراطية وحقوق الإنسان لم تمنع حكوماتِها من فرض حصار اقتصادي على دولة بسبب فكرها وعقيدتها، وحقوق الإنسان كذلك لم تمنع الحكومات الغربية من حرمان الناس من حقهم في العيش والحياة.

ويجب على الدولة الإسلامية وعلى كل مناصريها في الخارج أن تبيّن للعالم أن الإرهاب الذي تلصقه أميركا ودول أوروبا بالمسلمين هو عينه الذي تفعله وتطبقه في سياسة الحصار والحرمان للنساء والأطفال والشيوخ بسبب معتقداتهم.

والحقيقة، إن مسألة الإبداع في مواجهة الحصار داخلياً وخارجياً يمكّن الدولة من أمرين:

الأول: الصمود الطويل في وجه الحصار، وبالتالي تصدّعه تماماً كما تصدع حصار قريش لبني هاشم في مكة بعد أن طال وكثرت مآسيه على المسلمين، وأثر ذلك في أهل مكة وساداتها، ولم تقو على استمراريته، بل عملت بنفسها على تصديعه وإنهائه.

الثاني: ضرب هذا الحصار بكل السبل لكسره وتقطيعه، فمهما كانت الدول قوية ولها إرادة، فإن كثرة الضرب والمحاولات المتكررة والمتعددة تؤثر فيها، وتنهكها، وتلجئها إلى التفكير بإنهاء هذا الحصار.

التحديات الداخلية

أولاً: التعبئة الفكرية والمعنوية

لقد تحدثنا في مواضيع سابقة من هذا البحث عن أبرز التحدّيات والصعوبات التي ستواجه دولة الخلافة الإسلامية الموعودة ـ والقائمة قريباً بإذنه تعالى ـ من الخارج؛ أي التحديّات الخارجيّة، وذكرنا أيضاً بشيءٍ من الإيجاز طرق التصدي والصمود في وجه هذه التحديات.

ولن يقف الأمر عند حد هذه التحديات، بل إن الدولة ـ كما ذكرنا ـ ستواجه تحديّات داخلية كذلك، وهذه التحدّيات لا تقل أهميةً عن التحديات الخارجية ـ وإن كانت أقل خطراً منها ـ وتحتاج إلى خططٍ من المواجهة والإعداد من أجل التغلّب عليها وتجاوزها في بداية قيام الدولة.

وأول هذه التحدّيات وأهمّها: (**التعبئة الفكرية والمعنوية**) وهي لازمة لمواجهة كافة المخاطر والصعوبات الداخلية والخارجية. وقد ذكرنا في حديثنا عن الحصار الاقتصادي سابقاً إيجازاً في التعبئة الداخلية لمواجهة الحصار، والآن نفصل قليلاً في موضوع التعبئة لمواجهة التحديات الداخلية.

وقد بدأنا بهذه النقطة (التعبئة) لأن معظم التحديات: الداخلية، والخارجية، ترتبط بها ارتباطاً مباشراً؛ فالحرب الخارجية ـ العسكرية وغير العسكرية ـ، من حصار وغيره، تحتاج إلى إعداد فكري ومعنوي لمواجهتها. ونقص الموارد الداخلية مقارنةً مع حجم التبعات والمتطلّبات أيضاً يحتاج إلى تعبئة للصمود والتصدّي والاستمرارية، وعملية التطبيق الانقلابي للإسلام في

جميع مؤسسات الدولة، المدنية منها والعسكرية، يحتاج كذلك إلى تعبئة عامة للعقليات والنفسيات عند الناس. ونقص معدات التسلح، والوسائل المدنية المرتبطة بأمور الحياة اليومية، يحتاج كذلك إلى تعبئة... إلى غير ذلك من صعوبات وعقبات، داخلية كانت أو خارجية، فكلها تحتاج إلى تعبئة. ولا نبالغ إن قلنا إن التعبئة هي رأس الحربة في كل ألوان المواجهة والتصدّي للتحدّيات والصعوبات التي تواجه دولة الخلافة الموعودة. والأمة التي لا تملك هذا السلاح سرعان ما تنهار وتنهزم أمام أولى الضربات، حتى ولو ملكت كل أنواع المواجهة الأخرى.

فما المقصود بالتعبئة؟ وكيف نوجدها في الأمة لمواجهة التحدّيات والأخطار المختلفة؟

المقصود بالتعبئة هنا هو **رفع مستوى الأمة فكرياً ونفسياً بالإسلام ـعقيدة وأحكاماً**ـ، لدرجةٍ تقوى معها على الصمود ومواجهة الأهوال والتحدّيات، وتُقْدِم على اقتحام المخاطر دون التفات إلى الموت، وتجوع وتعرى دون أن تلتفت إلى متع الحياة الدنيا، بل تنظر إلى مرضاة ربّها وتصبر وتحتسب أمام كلّ هذه العقبات.

بمعنى آخر هي عملية إيجاد القناعات الراسخة في العقول، وشحن النفسيات شحناً إيمانياً يوصل الأمة إلى درجة لا تنظر معها إلى الطين والتراب، بل ترتفع عن كل ذلك وتتصل بخالقها صلة روحيةً سامية..!!

أما كيف نوجد هذه الصفة السامية العالية في أفراد الأمة، فإن ذلك يحتاج إلى أمور، ومن هذه الأمور:

١ـ بيان ما نحن عليه من عقيدة سليمة وشريعة مستقيمة، مقارنة مع

ما عليه أتباع الحضارة الغربية بشكل خاص، والكفار بشكل عام.

وهذا البيان يولّد في نفسيّة المسلم شحناتٍ إيمانيةً تدفع المسلم للتصدّي والتحدي في مواجهة الكفر، وتجعله أكثر استعداداً للتضحية من أجل بقاء هذا الدين المستقيم، وبقاء دولته التي تحمله وتطبقه في الناس، كما يجعل المسلم أكثر كراهية للكفر والكافرين، ولما هم عليه من عقيدة فاسدة، وأحكام ومعالجات ساقطة هابطة.

٢ـ بيان أهداف الكفار وغاياتهم بأنهم يهدفون من محاولاتهم لهدم هذا الكيان الجديد إبقاء الأمة الإسلامية تابعةً لسياساتهم، ونهباً لتجاراتهم وصناعاتهم، وسوقاً لمنتجاتهم، كذلك بيان أن عداءهم نابع من كراهيتهم لأمّة الإسلام ولدينها كأمة تحمل ديناً إلهياً سماوياً.

ومن هذا المنطلق العقدي فإنهم يحرصون على القضاء على الأمة الإسلامية، ويحرصون على عدم بزوغ هذا النور الإلهيّ وظهوره في الكرة الأرضية على شكل كيان سياسي له قوةٌ وسلطان!!

وقد ذكرنا سابقاً الآيات والأحاديث التي تتحدث عن هذه البغضاء والكراهية.

٣ـ الوقوف على حقائق التاريخ عبر العصور المتتابعة، منذ عهد المصطفى عليه الصلاة والسلام، وحتى يومنا هذا، وبيانها وكشفها للأمة الإسلامية، وذلك لبيان الوقائع العملية التي تُصدّق الإخبار الإلهي، وفي الوقت نفسه إثارة الأمة ضدّ همجيّة الكفار، وأساليبهم الدنيئة في تحقيق غاياتهم الهابطة ضد أمة الإسلام.

٤ـ التعبئة الفكرية والنفسية للحث على التضحية والفداء والإيثار

والتكافل الاجتماعي بين الناس في وجه الحصار، وفي وجه قلة الموارد الداخلية في الدولة!!

وهذا بالفعل ما فعله رسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام في بداية الدعوة، في أوقات الشدة والأزمات الاقتصادية والسياسية، حيث حثّ على التكافل وبيَّن جزاءه عند الله، وحثّ على الإيثار بالنفس والمال لمصلحة الجماعة وبيَّن عاقبتة الطيبة عند الله...

فإذا وجدت القناعات الذاتية بالصمود والتصدّي والعمل لإنجاح هذا الإنجاز العظيم، فإن ذلك يوفّر على الدولة العناء الشديد في فرض القوانين التقشفية والبرامج؛ وذلك لأن سدّ الخلل يحصل عند الناس بشكل تلقائي ومن دافعٍ ذاتي.

٥ـ تنبيه مفاهيم الأعماق ـالمتصلة بالعقيدة الإسلاميةـ في قلوب الناس، وخاصةً مسألة الجزاء الأخروي.

فمفاهيم الأعماق، إن استفاقت وتنبّهت عند المسلم، فإنه يصبح شخصية ملتزمة ومندفعة تحب البذل والعطاء، والتضحية والفداء، ولا تبالي بما تلاقي في سبيل ذلك من عقبات ومشاق.

٦ـ ترسيخ مفهوم الجماعة والقيادة والإمارة في أذهان الناس، وذلك ببيان معنى الفرد والجماعة، والرابط بينهم.

فيُرسَّخُ في أذهان الناس في داخل الدولة أهميّة المحافظة على وحدة الجماعة، عن طريق المحافظة على كيان الدولة وقيادتها؛ لأن الدولة هي السفينة التي تحمل أبناء المجتمع في وسط عَدائية الدول الكافرة، وإذا غرقت السفينة ـلا سمح اللهـ فإن أبناء الأمة يغرقون في مستنقع الكفر والتبعية من

جديد، وتعود المعاناة أشدّ ممّا كانت عليه سابقاً.

فكل مسلم مطالب بالدفاع عن ثغرة هو واقفٌ عليها، ومطالب كذلك بدفع السفينة للأمام وبحراستها، وحراسة قادتها.

٧ـ ترسيخ مفهوم العزة والكرامة في عقول أبناء الأمة ونفسياتها.

فالأمة التي تعرف نفسها تأبى إلا أن تكون عزيزة أبية، وهذه المعرفة تحتاج إلى بيان وتحفيز عند أبناء الأمة المسلمة.

فالأمة الإسلامية مرّت في أدوارٍ وفي وقائع تاريخية وأزمات متلاحقة أنستها حقيقة نفسها، لدرجة أنها صارت ـفي أغلبهاـ ترضى بالواقع الذي فرضه الاستعمار فوق رقابها، بل وتستسيغه أحياناً!!

وهذا الأمر ليس صعباً على أمة تحمل عقيدةً فريدةً وأحكاماً مستقيمةً، وتاريخاً وضّاءً لم يمض عليه زمن طويل، فتُذكَّرُ الأمة بتاريخها وهي تقف على أبواب فرنسا عند جبال البرانس، وبتاريخها وهي تدخل أواسط أوروبا الشرقية، وأواسط روسيا حتى موسكو، وتدين لها الهند والصين وأواسط آسيا، وتُذكّرُ بأنها أمة ما عرفت إلا العزة والقوة في تاريخها، ولم تعرف الذلّة ولا الانكسار.

وهذه القضيّة هي من أهم أمور التعبئة عند الأمة؛ لأنها تجعل أفراد الأمة يتصرفون في المواجهة والتحدي تصرف العزيز الأبي الذي يريد العزة والقوة والسمو، لا تصرّفَ الذليل الذي استمرأ الذل ورضي به سنين طويلة!!

هذه أهم النقاط العملية في تعبئة الأمة ضد محاولات الكفار للصدّ عن سبيل الله، وهدم كيان الأمة.

وهذه المسألة (التعبئة) ليست صعبة، ولكنها تحتاج إلى حسن التأتي، وتحتاج إلى التكرار والمثابرة، حتى تصبح مفاهيم الإقدام والتضحية والثبات سجيّة من سجايا الأمة فرداً فرداً.

والأمة، والحمد لله، تحوي طاقات من العلماء والمبدعين المؤثرين في هذا المجال، وتملك كذلك الأساليب والوسائل الكثيرة الكفيلة بإيصال هذه الفكرة إلى عقول وقلوب الأمة.

فإذا وصلت الأمة إلى درجة عالية من التعبئة الفكرية والنفسية فإنها ـ كما ذكرنا ـ تصبح طاقةً مندفعةً، وتصبح قوةً عصيّةً على كلّ محاولات الكفار، حتى ولو جاعت أو عَريتْ أو فقدت رغد العيش في بداية الأمر، وبذلك تكون دعامةً لهذه الدولة بدل أن تكون عبئاً عليها، وتكون حارساً أميناً بدل أن تكون معول هدم، وتكون قوةً مندفعةً للأمام تدفع معها كل كيان الدولة بدل أن تُثقل الحمل على كيان الدولة!!

ثانياً: قلّة الموارد والإمكانات مقارنةً مع حجم التحديات

إن مسألة قلة الموارد والإمكانات أو كثرتها داخل الدولة الإسلامية عند قيامها يعتمد أولاً على مكان قيام هذه الدولة، وعلى إمكانات هذه الدولة، سواء أتعلقت بالطاقة البشرية أم بالطاقة الماديّة أم بالمواد الخام الأولية. لكن الأمور يجب أن تُحسب على أسوأ التقديرات، خاصة وأن الدولة غالباً ما تواجه حالة من الحصار الاقتصادي والحرب المادية، ومحاولات لتأليب الدول المجاورة عليها، كما ذكرنا أثناء حديثنا عن الحرب المادية والحصار.

فغالباً ما تكون التحديات كبيرة في بداية الأمر، وقد تكون الإمكانات الموجودة قليلة مقارنة مع ذلك، فكيف تتأقلم الدولة مع هذا الواقع، وكيف تحصّن نفسها أمام هذه التحديات الكبيرة؟!

أولاً: يجب على الدولة والقائمين عليها أن يبحثوا في كل السبل والمجالات والإمكانات المتاحة، سواء أكانت داخلية أم خارجية؛ لتوفير الضروريات في الوقوف والصمود، وأول هذه الضروريات الطعام والشراب لجميع أفراد الرعية في الدولة، وما يلزم ذلك من طاقةٍ كهربائية أو وقود أو معدات لتسيير أمور المأكل والمشرب، فمسألة إيجاد الطاقة مرتبطة بالحاجات الضرورية ارتباطاً وثيقاً؛ لأن معظم أنواع الغذاء يحتاج إلى طاقة، واستخراج المياه كذلك يحتاج إلى طاقة.

فهذه الحاجات (المأكل والمشرب وما يرتبط بها من وسائل استخراج) ضروريّة جداً، وهي أهم الضروريّات لبقاء الدولة وصمودها أمام حملات

التصفية، والصدّ عن سبيل الله التي تقودها الدول العظمى، والدول العميلة المجاورة لهذه الدولة، وقد حاول الكفار ـقبل قيام الدولة في عهد المصطفى عليه الصلاة والسلام، وبعد قيامها في المدينة المنورةـ منعها عن المسلمين حتى يعلنوا استسلامهم.

وقد تحدثنا عن مسألة توفير الطعام والشراب أثناء حديثنا عن الحصار، ومن أبرز هذه الأمور تطبيق سياسة من التقشف مقارنة مع ما هو موجود من إمكانات بحيث تكفي لمدة طويلة من الحصار، وكذلك تطبيق سياسة التكافل الاجتماعي بين الناس، وخاصة في ضروريات العيش كما طبق الرسول ﷺ ذلك في بداية وصوله إلى المدينة المنورة في المؤاخاة بين الصحابة، ومحاولة التوسّع في الإنتاج الزراعي أو تصنيع المواد الغذائية ما أمكن إلى ذلك من سبيل. وأيضاً يجب على الدولة أن تعمل على إيجاد سياسةٍ للتوزيع الغذائي إذا انحصرت روافد هذا الإنتاج ومصادره.

أما مسألة الطاقة فهي مسألة حساسة جداً، خاصة وأن الماء والغذاء يرتبطان في الغالب بها، وهذا الأمر يحتاج إلى بذل الجهود في تقنين استعمال موارد الطاقة، وأن يُقتصر في ذلك على الحاجات الملحة والضرورية جداً، فأدوات النقل مثلاً يُقنن استعمالها في الحاجات الملحة، ولا يُسمح بتسييرها لأي حاجة كالسابق؛ لأن الأمر هنا صار مرتبطاً بحاجة ضرورية وببقاء الدولة واستمراريتها.

ثانياً: تفعيل كل قدرات العلماء وتقنيتهم في البحث عن وسائل مساندة للطاقة، مثل الطاقة الشمسية في الإنارة والتدفئة وتشغيل المحركات، أو الطاقة المائية إن وجدت، وهذا الأمر فيه إمكان الإبداع، خاصة وأن

المجالات العلمية تستطيع أن تبتكر وتُبدع في ذلك، ولا يقتصر في إثارة الإبداع وتحفيزه على علماء الدولة الإسلامية، بل يحاول القائمون على الأمر شراء العقول من الخارج، وشراء البرامج العلمية المتطورة من العلماء ومراكز الأبحاث.

ثالثاً: تنظيم حملات سرية بواسطة خبراء في الداخل والخارج لتهريب مصادر الطاقة ووقودها، وتهريب المواد الغذائية ما أمكن إلى ذلك من سبيل، عن طريق الحدود البرية للدول المجاورة، وعن طريق المعابر المائية، وعن كل الطرق الممكنة، وهذا الأمر فعله رسول الله ﷺ وصحابته في مسألة الغذاء أثناء حصار الشعب في مكة المكرمة، حيث كانت تصله شحنات من الغذاء بطريق السر من بعض المتعاطفين في مكة. روى ابن اسحق قال: «**وقد كان أبو جهل بن هشام فيما يذكرون، لقي حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد ومعه غلام يحمل قمحاً يريد به عمته خديجة بنت خويلد، وهي عند رسول الله ﷺ في الشعب، فتعلق به وقال: أتذهب بالطعام إلى بني هاشم؟! والله لا تذهب أنت وطعامك حتى أفضحك بمكة. فجاءه أبو البحتري بن هشام بن الحارث بن أسد فقال: ما لك وله؟! فقال: يحمل الطعام لبني هاشم! فقال أبو البحتري: طعام كان لعمته عنده بعثت به إليه، أتمنعه أن يأتيها بطعامها؟! خلّ سبيل الرجل. قال: فأبى أبو جهل لعنه الله حتى نال أحدهما من صاحبه، فأخذ أبو البحتري لَحْيَ بعير فشجّه ووطئه وطئاً شديداً!!**».

رابعاً: هو محاولة البحث عن منابع للبترول إن وجدت، ومحاولة زيادة إنتاجها إن كانت موجودة أصلاً، وذلك بكل الوسائل والطرق الممكنة، عن طريق إغراء الشركات البترولية المحلية، أو عن طريق إغراء بعض الدول غير

الاستعمارية بنصيب كبير من الإنتاج، وذلك كما فعل الرسول ﷺ عندما عرض على غطفان ثلث ثمار المدينة مقابل رجوعهم عن حرب المسلمين في الخندق، قال ابن اسحق: «...**فأقام رسول الله ﷺ مرابطاً، وأقام المشركون يحاصرونه بضعاً وعشرين ليلة قريباً من شهر، ولم يكن بينهم إلا الرَمِيّا بالنبل. فلما اشتد على الناس البلاء، بعث رسول الله ﷺ ـ كما حدثني عاصم بن عمر بن قتادة ومن لا اتهم عن الزهري ـ إلى عيينة بن حصن والحارث بن عوف المرّي ـ وهما قائدا غطفان ـ وأعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهم عنه وعن أصحابه، فجرى بينه وبينهم الصلح، حتى كتبوا الكتاب ولم تقع الشهادة ولا عزيمة الصلح إلا المراوضة. فلما أراد رسول الله ﷺ أن يفعل ذلك، بعث إلى السعدين فذكر لهما ذلك واستشارهما فيه، فقالا: يا رسول الله أمراً تحبه فنصنعه، أم شيئاً أمرك الله به لا بد لنا من العمل به، أم شيئاً تصنعه لنا؟؟ فقال: بل شيء أصنعه لكم، والله ما أصنع ذلك إلا لأني رأيت العرب رمتكم عن قوس واحدة وكالبوكم من كل جانب، فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم إلى أمر ما...**».

كل ذلك تفعله الدولة من أجل سدّ الخلل الناتج عن الحصار، ولا يسمح أيضاً للشركات الأجنبية الموجودة قبل قيام الدولة بنقل معداتها البترولية، وتعتبر هذه المعدات حاجةً ضرورية حتى يتمّ فكّ الحصار نهائياً.

هذه هي أبرز الأمور في التعاطي مع مسألة الغذاء والطاقة، فهي عبارة عن محاولات في الصمود والتصدّي في وجه الحصار؛ لأن الدولة لا تملك خوارق عادات، وإنما تتعامل مع الطاقات الممكنة، وتحاول جهدها لفكّ الحصار وكسره بكل ما أوتيت إلى ذلك من سبيل.

هذا ما يتعلق بمسألة محدودية الإمكانات في الحاجات الضرورية

مقارنة مع عظم التحدّيات الداخلية والخارجية في بداية قيام دولة الخلافة الإسلامية الموعودة.

وهنا نأتي إلى مسألة مهمة في هذه المرحلة هي مسألة التسلح؛ لأن السلاح ضروري لأمرين:

الأول: المحافظة على الأمن الداخلي من الثورات ضد النظام، **والثاني**: صدّ المحاولات الخارجية من قبل أعداء الله في كسر شوكة الدولة الإسلامية.

والحقيقة، إن مسألة التسلّح أيسر قليلاً من مسألة الطاقة؛ لأن الطاقة إن وجدت فإنه يمكن إيجاد كثير من السلاح وتصنيعه، وعلى الدولة أن تضع الخطط والأساليب على النحو الآتي لتوفير السلاح وبأقصى طاقة ممكنة:

أولاً: العناية بما هو موجود من جميع أنواع الأسلحة والعمل على صيانتها والعناية بها، ومحاولة إيجاد قطع الغيار الضرورية لها بكل الوسائل المتاحة، والسبب هو أن الدولة في حالة حصار، ومن الصعب إدخال معدات ثقيلة لداخل الدولة.

ثانياً: تحفيز الخبراء والصناع لإيجاد الدراسات وورشات التصنيع الحربي بكل الوسائل الممكنة أيضاً، سواء أكان ذلك على مستوى الأسلحة البسيطة أم الثقيلة. وهذا الأمر ليس صعباً إن وجدت النوايا الصادقة، والخبراء، ومصادر الطاقة اللازمة، ومصادر المعادن.

ثالثاً: إيجاد طواقم من الخبراء في الداخل والخارج للعمل على وضع خطط لتهريب الأسلحة عن طريق الدول المجاورة، وتهريب البرامج في التصنيع الحربي، وحتى البرامج في الأسلحة غير التقليدية، فليس صعباً على أهل الدراية في هذا المجال شراء الأسلحة بطريقة سرية، وليس مستحيلاً

كذلك ـوإن كان صعباًـ تهريب هذه الأمور إلى داخل الدولة.

هذا ما يتعلق بمسألة التسلح في وقت الحصار ومحدودية الإمكانات. وقد ذكرنا أن هذه الأمور لا تنفصل عن محاولات الدولة بشكل حثيث لكسر هذا الحصار، وإنهائه بكل السبل الممكنة، سواء أكان ذلك عن طريق المحافل الدولية، ومخاطبة الشعوب في العالم الكافر، أم كان ذلك عن طريق مخاطبة الشعوب في الدول المجاورة، وفي دول العالم الإسلامي، أم كان عن طريق القوة العسكرية والحرب، إذا رأت الدولة في نفسها كفاية في ذلك لفك هذا الحصار عن طريق ضم دول مجاورة لجسم الدولة، أم عن طريق إعلان الحرب الفعلية من أجل هذه الغاية.

والحقيقة، إن مسألة عامل الوقت في مدة صمود الدولة الإسلامية أمام هذه العقبات ليس في صالح الدول الكافرة، وليس في صالح الدول المجاورة كذلك؛ لذلك يمكن القول: إن إطالة عمر الصمود في وجه الحصار دون تصدّع الدولة هو نجاح عسكريٌّ للدولة في بداية الأمر، وهو كذلك نجاحٌ سياسيٌّ على كل الدول الكافرة والعميلة لها.

ثالثاً: التطبيق الانقلابي للإسلام

أما النقطة قبل الأخيرة في مسألة التحدّيات الداخلية فهي التطبيق الانقلابي للإسلام.

وهذه النقطة سنتناولها من ثلاث زوايا:

١ـ التهيئة النفسية والعقلية لأبناء الأمة داخل الدولة.

٢ـ الأدوات والوسائل لهذا التطبيق.

٣ـ الصورة العمليّة لعمليّة التطبيق الانقلابي للإسلام.

وقبل البدء في هذا الموضوع، لا بد أن نذكر معنى التطبيق الانقلابي وحكم الشرع في التطبيق الانقلابي.

ولبيان معنى التطبيق الانقلابي للإسلام، لا بد من الرجوع لسيرة المصطفى ﷺ عند وصوله إلى المدينة المنورة.

فالرسول ﷺ قد طبّق ما نزل من أحكام شرعية عملية في المدينة المنورة دون تأخير، وكان عليه الصلاة والسلام يطبق أي حكمٍ ينزل، تماماً كما نزل، دون أي تأخير.

وهناك البعض من المفكرين ـممن يتقوّلون بمسألة التدرج في تطبيق الأحكام داخل بلاد المسلمينـ يستدل بالآيات التي ذكرت الخمر في كتاب الله على مسألة التدرّج في تطبيق الأحكام الشرعية في بلاد المسلمين، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿ **وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾** ﴾ [النحل ٧١]. وقوله: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا**

إِلَّا عَابِرِى سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُواْ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَـٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾ ﴾ [النساء ٤٣].

والحقيقة، إن هذا ليس تدرّجاً في تحريم الخمر؛ لأن الآية الأولى والثانية ليس فيهما أي تحريم للخمر، وإنما تتحدّثان عن أمر معين، وهو اتخاذ الناس من الأعناب سكَراً ورزقا حسناً، وعن عدم جواز شرب الخمرة في أوقات الصلاة، قال الشوكاني في تفسيره، (فتح القدير): (أخرج عبد بن حميد، وأبو داود، والترمذي وحسنه، عن علي بن أبي طالب قال: صنع لنا عبد الرحمن بن عوف طعاماً، فدعانا وسقانا من الخمر، فأخذت الخمر منّا، وحضرت الصلاة فقدّموني فقرأتُ (قل يا أيها الكافرون، لا أعبد ما تعبدون، ونحن نعبد ما تعبدون). فأنزل الله: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَـٰرَىٰ ﴾ [النساء ٤٣].

وأخرج أحمد والحاكم وصححه، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: ﴿ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَـٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ ﴾ [البقرة ٢١٩]، قلت اللهم بيّن لنا في الخمر بياناً شافياً، فنزلت الآية التي في النساء: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَـٰرَىٰ ﴾، فدُعي عمر وقرئت عليه فقال: اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً، فنزلت الآية التي في المائدة ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَـٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ [المائدة ٩٠-٩١]، فدُعيَ عمر فقرئت عليه، فلما بلغ ﴿ فَهَلْ

﴿أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ قال عمر: انتهينا.. انتهينا!!

فلم يكن حكم الخمر من حيث الحرمة قد نزل بعد في سورة النحل، ولا في سورة النساء، فآية سورة النحل تتحدث عن منافع تحصل من الثمرات. أما آية سورة النساء، فإنها تتحدث عن حكم آخر ـكما ذكرنا سالفاًـ وهو عدم جواز قرب الصلاة في حال السكر، وكذلك ليس فيها تحريم للخمر، وإنما تتحدث عن عدم جواز الصلاة في أثناء السكر، فالتحريم منحصرٌ في وقت أداء الصلاة فقط، وقد كان شرب الخمر غير منهي عنه بصورة مطلقة قبل نزول آية المائدة، روى ابن كثير في تفسيره قال: (روى حماد بن ثابت عن أنس قال: كنت ساقي القوم يوم حرمت الخمر في بيت أبي طلحة، وما شرابهم إلا الفضيخ البسر والتمر، فإذا منادٍ ينادي قال: اخرج فانظر، فإذا منادٍ ينادي: ألا إن الخمر قد حرّمت، فجَرَتْ في سِكَك المدينة، (أي أُهرقت) قال: فقال لي أبو طلحة: اخرج فأهرقها فهرقها، فقال أو قال بعضهم: قُتل فلان وفلان وهي في بطونهم، قال: فأنزل الله ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾﴾ [المائدة ٩٣] أخرجه مسلم في صحيحه برواية مقاربة.

أما الآية التي ذكرت بالفعل حرمة الخمر، وكان ذلك مرةً واحدةً دون تدرّج، فهي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [المائدة ٩٠]. وعندما سمع صحابة رسول الله ﷺ ذلك، حملوا الجرار، وفيها الخمر المُعتّق، وألقوا بها في شوارع المدينة حتى سالت كما يسيل الماء في يوم مطير.

ولا أدري لماذا يتقوّل البعض بهذه المسألة (التدرج)؟!، فهل كانت نفسيات الصحابة التي واجهت الموت في مكة بإيمانٍ راسخ، أو نفسيات الأنصار التي بايعت على قتال الأحمر والأسود من الناس؛ هل كانت نفسيات هؤلاء بحاجةٍ إلى تدرّجٍ في حكمٍ شرعي ينزل من السماء؟! إنهم كانوا طائعين لله ولرسوله حتى ولو على أنفسهم وأموالهم وأهليهم، ولم يتوانَوْا لحظةً واحدةً عن تطبيق حكمٍ شرعيٍّ واحدٍ على الإطلاق!!

فالرسول عليه الصلاة والسلام هو أوّل من طبق الإسلام تطبيقاً انقلابياً من أول يوم وطئت فيه قدماه المدينة المنورة؛ فوقّع وثيقة المؤاخاة، وأقام المعاهدات، وبعث الرسل إلى الملوك، وطبّق الأحكام التي نزلت في مكة من قبل، والأحكام التي كانت تتنزل تِباعاً، ولم يؤخّر عليه الصلاة والسلام حكماً شرعياً واحداً كان قد نزل، ولم يتدرّج في أي حكم!!.

ولكن نظراً لبعد الشقّة بين المسلمين وبين الإسلام العملي في الدولة الجديدة، فإنه لا بد من حملةٍ موازيةٍ لهذا التطبيق، حتى يلقى نجاحاً وقبولاً من قبل نفسيات عوام الناس وخاصتهم، ولا أقصد بالحملة الموازية هنا التدرّج إطلاقاً؛ لأن التدّرج في مسألة الحكم حرام شرعاً، ولا يجوز أصلاً تأخير الحكم بما أنزل الله في ظل التمكين ـ ولا حتى في غيابه ـ لحظة واحدة.

وهذه الحملة الموازية تتمثّل في ثلاثة أمور كما ذكرت.

الأمر الأول: الأدوات والوسائل. فلا بد من اتّخاذ كافة الأدوات الممكنة من تلفزيون وإذاعة، ومنابر، ومدارس، وجامعات، وحملات إعلامية على كافة المستويات؛ لتفهيم الناس ضرورة وواجب تطبيق الأحكام الشرعية، وحرمة تأخير ذلك. ويُتخذ لهذه الغاية أقدر الناس على البيان

وأفهمهم لسيرة المصطفى ﷺ، والأصل أن تستمر هذه الحملة حتى يتم الاطمئنان إلى أن الناس قد ألِفُوا هذا الأمر، ورضيت به نفوسهم وأصبح مطلباً لهم عند الصغير والكبير.

الأمر الثاني: التهيئة النفسية والعقلية لهذا الأمر: والحقيقة، إن هذه التهيئة تتصل بموضوع التعبئة النفسية والفكرية التي ذكرناها سابقاً، ويركز في هذا الموضوع على مرضاة الله أولاً وجزائه الأخروي، وغضبه ومقته لأحكام الكفر، ولمن يطبّقها في حياته، ثم يُبيّنُ للناس مدى العدل والاستقامة والطمأنينة التي حصلت في المجتمع بتطبيق أحكام الإسلام!!

ويذّكرُ الناس في أثناء هذه الحملة بسيرة صحابة رسول الله ﷺ، وكيف أنهم رضوا بالقليل في بداية الأمر كمقدمةٍ للكثير في الدنيا والآخرة، وكيف منَّ الله عليهم بهذا الدين وبتطبيقه تطبيقاً كاملاً، بفتح الدنيا بأسرها حتى إنهم لبسوا أساور كسرى!!

أما الأمر الثالث: وهو الصورة العملية لعملية التطبيق، فهذا الأمر يحتاج إلى إعدادات معينةٍ من أجل كل مسألة. ويقترن بموضوع تغيير الواقع الفاسد الذي سنتحدث عنه لاحقاً. ولكن في البداية يجب أن يُعلنَ بشكل عملي وعلني لا يقبل التأجيل أن أحكام الإسلام هي السائدة في الدولة، وأنّ أيّ تأخّرٍ في تطبيق أيّ شأنٍ إنما يرجع لأمورٍ خارجةٍ عن القدرة المادية، وسوف تُطّبقُ في أسرع وقت.

والحقيقة، إن الناحية العملية قد تأخذ وقتاً في بعض الأمور، وخاصة الاقتصادية منها والتعليمية، وكذلك تحرير البلاد وتوحيدها، لكن ذلك لا يعني إبقاء الواقع المحرّم السابق إطلاقاً، وإنما يجب إلغاؤه مع إبقاء ما لا يخرج

عن الأمور الشرعيّة، ولا يجوز إبقاء أيّ أمرٍ محرّمٍ مثل البنوك أو البرامج التعليمية المتصلة بالاستعمار. فهذه توقف من أول يوم.

والحقيقة، إن موضوع الإعدادات العملية في عملية التطبيق يجب أن يراعى فيها ما يأتي:

أولاً: إنهاء أيّ أمرٍ يتعلق بمحرّم كالبنوك الربوية وغيرها، وإبقاء الصورة الخدماتية (أي التي تسيّر مصالح الناس المرتبطة سابقاً بهذه المؤسسات المالية وغيرها من عقودٍ وأمانات أو معاملات تجارية أو غير ذلك من شؤون الناس) في هذه المؤسسات حتى يتم إلغاؤها نهائياً واستبدالها.

ثانياً: الشركات الخاصة التي كانت قائمةً على الأموال العامة من حيث الاستخراج والرعاية تبقى في عملها؛ وذلك لحاجة الناس الماسّة لذلك، ولكن الأموال توزع بالطريقة الصحيحة، حتى يتم إلغاء هذه الشركات واستبدال جهاز خدماتي تقوم عليه الدولة بها، أما الشركات التي تقوم في نظامها على أساسٍ رأسمالي أو ربوي فانه يغير برنامجها وطريقة تشكيلها مع بقاء عملها؛ وذلك لحاجة الأمة الماسّة لها في الظرف الحالي.

ثالثاً: عملية التعليم والمناهج يبقى منها ما ينبثق من أحكام الإسلام مؤقتاً حتى يتم كذلك استبدال نظام جديد بها، أما في الأمور المدنية والعلمية فيبقى منها ما لا يخالف عقيدة الإسلام وأحكامه، وأما غير ذلك من مخالفات؛ سواء أكانت في الأمور الثقافية أم المدنية، فإنها تزال نهائياً.

رابعاً: ما يتعلق بالنواحي الأمنية وأجهزة حفظ النظام تبقى كما هي مؤقتاً باستثناء من يرتبط بالنظام السابق بالعمالة والتبعية؛ أي من يشكل خطراً على الدولة أو الرعايا. وذلك لئلاّ يحدث انقلابٌ أمنيٌّ في المناطق.

وهكذا سائر الأمور والتي سنتحدث عنها في موضوع تغيير الواقع الفاسد القديم. وقد تكون هناك ضرورة لفرض حظر التجوال على الناس لأيام قليلة لترتيب أمور العباد بحسب النظام الجديد، وقد لا تكون هناك ضرورة لفرض منع التجوال وتعطيل مصالح الناس، خاصة وأن الناس قد تعبأت نفوسهم وعقولهم بحب الإسلام والحفاظ عليه والذود عنه. ويعمل أهل الرأي والحكم في الدولة ضمن الإمكانات الموجودة بحيث لا يخالفون أمراً شرعياً ولا يطبّقون حكماً محرماً.

والحقيقة، إن الذي يتحمل الحكم بالإسلام في دولة الخلافة الإسلامية الموعودة يجب أن يكون قادراً على أمر التطبيق الانقلابي بالحكمة؛ لأنه قد تهيأ مسبقاً لهذا الأمر، وأن يكون عنده دستور شامل يتناول جميع الأحكام المتعلقة بالحكم، وأن يكون عنده قياديون يتقنون فن قيادة وسياسة الناس، ولن يكون الأمر بإذنه تعالى صعباً، خاصة وأن الأمة ستلتفُّ حوله وستقدم المهج والأموال وكل الطاقات في سبيل ذلك إن شاء الله تعالى!!

رابعاً: محاربة الواقع الفاسد القديم

بقيت النقطة الأخيرة في هذا البحث وهي محاربة الواقع الفاسد القديم بتغييره، وهذه النقطة يتفرع عنها أمور، ولكن قبل الحديث عن الفرعيات نقول: إن الدولة في بداية قيامها ونشوئها ترث عبئاً ثقيلاً من الواقع الفاسد القديم الذي أفسده من قبلها، ولكن هذا الواقع سرعان ما يتغير بإذنه تعالى، والسبب هو النفسيات العالية عند المسلمين، وقوّة من يتحملون أمور الحكم. فإذا اجتمع هذان الأمران، فإنهم سيكونون مثل صحابة رسول الله ﷺ في المدينة المنورة عندما قلبوها رأساً على عقب وغيروا كل معالمها الحضارية!!

والحقيقة، إن موضوع الصعاب الداخلية تبقى هيّنة لينةً بإذنه تعالى، وهي أخف وأهون بكثير من الصعاب والتحديات الخارجية، والسبب أن الصعاب الداخلية تتعلق بمؤمنين عندهم استعدادٌ للتضحية والفداء والبذل وتقبل أي أمر جديد يتصل بهذا الدين، أما الصعوبات الخارجية فهي مرتبطة بالكفر والاستعمار الذي لا يفتأُ يحارب الله ورسوله وأمة الإسلام. ﴿**وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءٗۖ فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ أَوۡلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَخُذُوهُمۡ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡۖ وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرًا ٨٩**﴾ [النساء ٨٩].

ولكن الله تعالى لن يمكّن لهؤلاء الكفار على أمة الإسلام ودولة الإسلام بإذنه تعالى: ﴿**يُرِيدُونَ أَن يُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَيَأۡبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٣٢**﴾ [التوبة ٣٢].

وسوف نأخذ بعض النماذج من الواقع الفاسد، وهي ليست كل الأمور في الدولة:

أولاً: التعليم والمناهج

كما نعلم فإن المناهج التعليمية هي مناهج مسمومة في ثقافتها؛ لأنها من مخلّفات عملاء الاستعمار ومن ربائبهم وزبانيتهم الذين درسوا في جامعاتهم، وتربّوْا على ثقافتهم النتنة. وهذه المناهج تحتاج إلى عملية تطهيرية تشمل الناحية الثقافية؛ وتشمل كذلك الناحية العلمية المدنية؛ لأن الناحية العلمية الموضوعة في بلاد المسلمين الهدف منها إبقاء الأمة متخلفةً عن ركب الرقي الصناعي والتكنولوجي مئات السنين للوراء.

فيجب أن يُبدأ أولاً بالمناهج المتعلقة بالثقافة، فيُزال منها أي أمر محرّم كأول خطوة وقبل كل شيء، لتحل محلها مناهج ثقافيةٍ جديدةٍ تتعلق بعقيدة الأمة وأحكام دينها، وتاريخها الإسلامي الوضّاء، وتكون هذه المناهج قادرةً على رفع مستوى الأمة الثقافي كخير أمة أرادها الله بقوله ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ**﴾ [آل عمران ١١٠].

وأيُّ كتابٍ أو ورقةٍ تنجزها هذه اللجان توضع رأساً موضع التدريس، ولا ننتظر حتى يكتمل الكتابُ أو المنهاج بأكمله، وإنما ندرّس ما تمّ إنجازه فوراً ودون تأخير.

والحقيقة، إن وضعَ برنامج للعملية التعليمية هو بمثابة النور الذي يضيء لهذه اللجان طريقة العمل وأسسه، ولا يبقى إلا عمليّة تنظيم ووضع المواد العلمية بما يتناسب مع كل مرحلةٍ من المراحل بطريقة راقيةٍ تفي

بالغرض المطلوب.

وأما الكتب العلمية المتعلقة بالنواحي المدنية، فإننا نُدرّس منها مادامت لا تنافي العقيدة والأحكام الشرعيّة، ثم نقوم بعملية استبدالها شيئاً فشيئاً لتفي بالمطلوب، وهو رفع مستوى الأمة المدني (الصناعي والزراعي والطب والهندسة...) لتصبح مقاربةً للدول الأخرى، وإن أمكن أن تتفوق عليها.

فبالطريقة نفسها تتخذ الدولة الطواقم العلمية لهذه العملية، وما يتم إنجازه، ولو ورقة واحدة، يتمّ وضعه موضع التدريس فوراً لئلاّ تتأخر العملية التغييرية للواقع الفاسد.

ويراعى في (**تغيير البرامج التعليمية**): تغيير الأشخاص الذين لا يؤمن جانبهم، وخاصةً ممن تعلقت قلوبهم بالنظام السابق، أو ممن قاموا على وضع هذه البرامج؛ لأن هؤلاء لا يؤمن جانبهم إطلاقاً.

ويجب تأمين ما يلزم مادياً من أجل هذه العملية، وهذا يصرف عليه من أموال المسلمين العامة؛ لأنه متعلق بأمور العلم والتعليم، ولا تبخل الدولة في هذا الأمر؛ لأنه لا يقل أهميةً عن الإعداد العسكري.

ثانياً: الإعلام والقائمون عليه

ولا نقصد بالإعلام هنا أدواته العلمية والعملية، فهذه تُسخّر في منفعة الأمة بدل مضرّتها كما كانت من قبل، ولكن نقصد بالإعلام؛ السياسة الإعلامية، والرجال القائمين على هذه السياسة.

فلا يخفى أن السياسة الإعلامية كانت سياسة انهزامية، تربّي الناس على الذلّ وعلى التبعيّة الاستعمارية، وعلى عبادة الرغيف بدل ربّ العالمين،

وعلى تقديس النظام الرأسمالي، وعلى التملّق للشخصيات، وعلى كمّ الأفواه والتخويف والترهيب من هالة المسؤولين، وكانت أيضاً تحارب الله ورسوله والمؤمنين المخلصين من حملة الدعوة والعاملين لها فيما يُسمّى بسياسة محاربة الإرهاب الأميركية، وتشوّه أحكام الإسلام في نظر المسلمين بدل إبرازها في أجمل حلّةٍ لها!!

فتعمل الدولة على وضع طواقم إعلامية تضع برامج وفق السياسة الإعلامية لدولة الخلافة، وهي تشمل: (ترسيخ عقيدة وأحكام الإسلام في عقول وقلوب الرعية، مع بيان الأفكار الفاسدة ووجه الفساد فيها، وتقوية الرابطة بين الراعي والرعية من حيث الطاعة والانقياد والمحبة والإخلاص، وبثّ ما يقوي الرابطة الإسلامية بين كافة الأعراق الإسلامية في ربوع الدولة، وما يقوي جسم الدولة ويرفع مستواها في كافة الأمور والمجالات، وبيان ونشر ما تصدره الدولة من تعليمات في كافة المجالات، سواء ما كان منها على الصعيد الرسمي أم الأمور العامة، وإظهار صورة الدولة الإسلامية في خارج الدولة في أقوى وأحسن صورة ليكون ذلك من أساليب عرض الإسلام، وكذلك إظهار قوة الدولة لدى أعدائها. ومن هذه السياسة كذلك عرض الفكر الإسلامي للشعوب الأخرى بأفضل وأيسر الطرق وأسهلها، وذلك بكافة اللغات المتداولة حسب الممكن).

وهذه الطواقم تقوم على المراقبة والتوجيه وإعداد البرامج الموجّهة من قيادة الدولة مباشرة؛ لأن أمر الإعلام ليس كبرامج التعليم من حيث سرعة الانتقال وحجم الانتقال بين الناس. فالإعلام يحمل سياسة الدولة مباشرة للناس وبأسرع طريقة، وبواسطته يُلقي رئيس الدولة (الخليفة) بياناته

وخطاباته وتوجيهاته للأمة.

أما البرامج القديمة والأشخاص فيبقى منهم ما يتّفق مع سياسة الإعلام، ولا يشكل خطورة على الدولة مثل المهندسين وطواقم الإعداد الإذاعي من ناحيةٍ تقنية.

وموضوع الإعلام يحتاج إلى إعداد وسائل علمية، وطاقات بشرية، وهذا قد يحتاج إلى أعمالٍ معينةٍ مثل الاتصال بالخبراء لإعداد الوسائل والبرامج، ويحتاج كذلك إلى إحضار بعض الأمور من الخارج، إما عن طريق التهريب، وإما عن طريق الحدود إن لم يفرض الحصار على الدولة، ويحتاج كذلك إلى عملية إخفاء لهذه الوسائل ووضعها في مكان مأمون في بداية الأمر؛ لأنها عرضة للتخريب والضرب من قبل أعداء الأمة.

أما إعداد الطاقات البشرية فهذا سهلٌ ميسور ممن سبق وعملوا في هذا المجال، بشيء من التوجيه، أو حتى بالإعداد الجديد.

ثالثاً: النقد ونظام العملات:

وقبل البدء في بيان كيفية المعالجة لهذه العملات الدارجة نذكر بعض الأمور التي تتعلق بهذا الموضوع:

١ـ النظام الشرعي في موضوع النقد هو فقط الذهب والفضة، فلا يجوز للدولة أن تتخذ نظاماً آخر في صك النقود، وهذا يعني أن أي قطعة نقدية، أو ورقة نقدية، أو سند مالي قانوني يجري التعامل به داخل دولة الخلافة، يجب أن يكون له غطاء من الذهب والفضة بالقيمة نفسها التي يحملها هذا النقد أو السند المالي، ويمكن لحامله أن يستبدله دون إعاقةٍ وفي

أي وقت بالقيمة نفسها التي يحملها من أي مكان في دولة الخلافة.

٢ـ العملات الموجودة في السوق تنقسم إلى ثلاثة أقسام، **الأولى**: عملات محلية طبعت أو صكت داخل بلاد المسلمين، وقد يكون لها جزء من الغطاء من الذهب والفضة، أو من العملات الأجنبية (الصعبة)، أو يكون لها غطاء من الموجودات العينية والعقارات وغير ذلك من أشياء تحمل قيمتها في ذاتها، **والثانية**: العملات الأجنبية التي طبعت أو صكت خارج بلاد المسلمين مثل الدولار أو اليورو أو المارك الألماني أو الفرنك الفرنسي أو غيرها. **الثالث**: المصكوكات من الذهب والفضة أو من المعادن الثمينة الأخرى التي تحمل قيمتها في ذاتها مثل الماس وغيره.

فهذه هي الأنواع الموجودة من العملات حال قيام دولة الخلافة الموعودة قريباً بإذنه تعالى. أما بالنسبة لعملية المعالجة الصحيحة لموضوع العملات، فيجب أن يكون استبدال الذهب والفضة بها؛ لأنه هو النظام النقدي الشرعي الصحيح، ولا يوجد نظام آخر غيره، ولكن هذه المعالجة تحتاج مع الأحكام الشرعية العملية إلى درايةٍ وأساليب تضمن عدم حدوث فوضى بين جماهير الناس، وفي الوقت نفسه تحفظ على الناس حقوقهم وأموالهم، وتضمن أيضاً مقدرة الدولة على الاستمرارية والمضي قدماً أثناء قيامها بالأعباء المالية.

فليست العملية منحصرة في موضوع الاستبدال فقط في بداية الأمر، بل إن هناك أشياء يجب أن تؤخذ بالحسبان كما ذكرنا.

والحقيقة، إن هذا الموضوع هو من أدق المواضيع التي تتعلق بمحاربة الفساد القديم، وقد كتب البعض فيها شذرات، ونضيف إلى ذلك في هذا

الباب بعض ما نراه صواباً في كيفية العلاج، ويبقى الأمر قابلاً للأخذ والرد في ذلك؛ لأن الموضوع كما قلنا متعلق بالأساليب وآليات العمل، باستثناء موضوع الأحكام الشرعية المرتبطة بهذا البحث.

إن عملية الاستبدال للعملات القديمة التي صكَّت أو طبعت في بلاد المسلمين يمكن أن تكون ضمن الخطة الآتية:

١ـ في بداية الأمر تقوم الدولة بحصر المبالغ المالية الموجودة من العملات المحلية، وتسجّل ذلك في سجلات خاصة، وذلك حتى لا تتم عمليات تزوير جديدة ، أو إدخال لعملات مزورة عن طريق الحدود ، وبعد عملية الإحصاء والتسجيل، تعطي لأصحاب الأموال الخاصة سندات مالية بقيمة أموالهم إلى حين عملية مباشرة استبدال العملة الرسمية، وهي الذهب والفضة، بها.

وهذه العملية تحتاج إلى طواقم خاصة، تقوم الدولة بانتقائها ممن يتقنون عمليات الإحصاء والرصد والتسجيل.

٢ـ تقوم الطواقم بعملية حساب لقيمة هذه العملات بالذهب والفضة حسب سعر الذهب والفضة في السوق العالمي، وحسب قيمة هذه العملات المصكوكات قبل قيام دولة الخلافة، وتحفظ الأرقام في سجلات خاصة.

٣ـ تقوم الدولة بحصر ما هو موجود من ذهب وفضة داخل الدولة، وتسجل ذلك في سجلات رسمية، وتقوم أيضاً بعملية إحصاء لمقدرات الدولة من السلع التي يمكن مبادلتها بعملات محلية أو عالمية أو مصكوكات أو مصاغ ذهبي وفضي، أي يمكن إجراء عملية المبادلة في البيع والشراء بها .

٤ـ يجب أن تنظر الدولة إلى حاجات الناس الضرورية من السلع والخدمات قبل أن تنظر إلى عملية مبادلة الأوراق القديمة بالذهب والفضة أو الأشياء العينية، ويجب أن تنظر كذلك إلى حاجة الدولة من العملات والأشياء العينية للوقوف في وجه الحصار والعداء من قبل الكفار. فهاتان المسألتان أهم وأكثر إلحاحاً على الدولة وعلى الناس من عملية استبدال الأوراق القديمة؛ لأن الانشغال بعملية الاستبدال، وتوزيع ما هو موجود من ثروات أو مصكوكات ثمينة على الناس، وترك الأخطار المحدقة بالدولة، هو عملية غير حكيمة، ولا يجوز الانشغال بها. فحاجات الناس من الضروريات، وحاجة الدولة للوقوف، هو أهم من تعويض الناس عن قيمة مدخراتهم المحفوظة في سندات مالية من قبل الدولة.

٥ـ تقوم الدولة بعملية استبدال لجزء من مدخرات الناس بما يضمن قيامهم بتسيير شؤونهم اليومية، وسدّ حاجاتهم الضرورية، وتبقى باقي قيمة السندات محفوظة في سجلات الدولة حتى يتم الاستقرار للدولة، وتتمكن بعد ذلك من عملية إنهاء استبدال هذه العملات.

٦ـ يجب على الدولة أن تنصّب خبراء اقتصاديين يقومون بعملية دراسة دقيقة في كل فترة من الزمن؛ وذلك لحجم ما تستطيع الدولة أن تستبدله من عملات قديمة، فمثلاً في الشهر الأول، تستطيع الدولة أن تستبدل ١٠% من قيمة هذه الأوراق، وفي الشهر الثاني أيضاً ١٠% وهكذا، وهذا يكون ـكما قلناـ وفق دراسة حاجات الناس الضرورية، وحاجة الدولة في الوقوف والاستمرارية في وجه الأخطار.

٧ـ بالنسبة للأوراق المالية الأجنبيّة، مثل الدولار الأميركي والين

الياباني والفرنك وغيرها، تُعامل معاملة الأوراق الإلزامية الداخلية من العهد السابق، باستثناء عملية التسجيل للاستبدال في المستقبل في عملية المبادلة بالسلع والخدمات، حيث يفرض على عمليات التبادل بالسلع والخدمات قيود تأخذ بالحسبان حاجة الناس من المواد الضرورية، وحاجة الدولة للاستمرارية. فمثلاً إذا وجد رجل يملك مليون دولار أميركي، فمثل هذا الرجل لا يطلق له العنان ـفي بداية الفترة الحرجةـ ليشتري ما يشاء من سلع وخدمات، وغيره من الناس لا يجد الحاجات الضرورية. أما بالنسبة لعملية التبادل مع الخارج إن تمكن أصحاب هذه العملات من إجرائها، فلا توضع عليها قيود إلا إذا تعارضت مع حاجات الناس الضرورية وحاجة الدولة.

٨ـ تجري الدولة عملية حصر للذهب والفضة بشكل دقيق؛ لما هو موجود وما يمكن الحصول عليه في فترة قصيرة، وذلك كمقدمة لعملية صك وطباعة النقود الشرعية، وفي هذه المرحلة تحشد الدولة كل طاقاتها من أجل الحصول على الذهب والفضة، وتحث الناس على التبرع قدر المستطاع، كما تحث الناس على إقراض الدولة من مصكوكا تهم ومدخراتهم من الذهب والفضة، أو من العملات الأجنبية، وذلك لتتمكن الدولة من جمع أكبر قدر من الغطاء النقدي بالذهب والفضة.

وما تأخذه الدولة ـفي هذه المرحلةـ عن طريق الاقتراض، سواء أكان ذهباً وفضة، أم عملات أجنبية، أم أشياء عينية، تقوم الدولة بتسجيله إلى حين قوتها وقدرتها على السداد.

والحقيقة، إن موضوع اقتراض الدولة من الأفراد قد يكون حاجة

ملحة في بداية الأمر، وخاصة إذا واجهت الدولة حصاراً اقتصادياً ودخلت في مواجهة مع الكفار.

٩ـ تقوم الدولة بكل المحاولات للحصول على الذهب والفضة، سواء عن طريق الاستخراج أم التهريب من الخارج أم الاقتراض أم غير ذلك من طرق، وذلك كمقدمة لعملية فرض النظام الشرعي في النقد بالقدر المستطاع.

١٠ـ عملية صك النقود الشرعية يجب أن تكون بالطريقة الشرعية، أي حسب أحكام الشرع التي وضعت لأوزان الدينار الذهبي والدرهم الفضي، فتصك الدولة قطعاً نقدية بهذا الوصف، وتُصدر في الوقت نفسه أوراقاً نقدية تمثل سندات نقود، لها غطاء من الذهب والفضة، حسب الأوصاف التي ذكرناها سابقاً من حيث سرعة الاستبدال في أي وقت، واستحالة التزوير.

هذه أحكام وأساليب في عملية تغيير الواقع الفاسد في موضوع النقد، وهذا الموضوع قابل للأخذ والرد والاجتهاد لأنه موضوع جديد.

رابعاً: الشخصيّات الإداريّة وأصحاب الوظائف الحساسة

الواقع الموروث عن النظام السابق واقع موبوء: موبوء بالأفكار وبالأشخاص الذين يحملون هذه الأفكار، وموبوء بالفساد وبالرجالات الفاسدين الذين يشغلون مناصب إدارية أو قيادية في شؤون الدولة والجيش أو دوائر الحكم.

ولا بد عند الوصول إلى الحكم من عملية تطهير تقوم على التغيير والمحاسبة، وعلى إرجاع الأمور إلى نصابها الشرعي في كافة أمور الدولة.

ومن هذه الأمور التي تحتاج إلى تطهير ومعالجة، الأشخاص الذين يشغلون مناصب حساسة في الدولة، ولا يؤمن جانبهم لا فكرياً ولا عملياً.

وعملية التطهير والتغيير ينظر إليها من أربع زوايا:

الأولى: أمور الحكم وما يتصل بها من وظائف إدارية أو مالية أو غير ذلك.

الثانية: المراكز الحساسة مثل قيادات الجيش وأمور القضاء، وغير ذلك من مراكز لها حساسية وتأثير في حياة الناس وأمن البلاد.

الثالثة: الأمور المالية العليا كميزانية الدولة، وتوزيع الأموال، وجبايتها، وحفظها، ومراقبة سيرها في كافة الشؤون.

الرابعة: الأمور الإدارية الحساسة كمسؤولية الدوائر المتصلة بالحكم أو الأموال أو غير ذلك من شؤون مهمة، وأيضاً غير الحساسة مثل عامة الوظائف الأخرى.

فهذه الأمور يجب أن يُنظر إليها بحرص ودقة لأنها تؤثر على مجريات الأحداث وسيرها داخل الدولة، وبقاء الشخصيات العميلة في أماكنها يمكن أن يُستغل من قبل الدول الكافرة، أو الأنظمة العميلة في العالم الإسلامي.

فأمور الحكم وما يتصل بها مباشرة من شؤون الإدارة أو المال، لا يوضع فيها إلا رجالات أكفاء مخلصون، وكذلك أمور الجيش العليا وأمور المال الحساسة، فإنه ينتقى لها رجالات يُؤمن جانبهم من أبناء المؤسسات القدامى، أو من الكفاءات في الأمة، ولكن بشرط أن توضع عليهم رقابة في بداية الأمر، وذلك حتى يتمّ التمكين للدولة وإعداد رجالات مأمونة الجانب في هذا المجال بشكل أكيد، أو الاطمئنان إلى الرجالات الذين تُركوا في

مناصبهم.

كذلك باقي شؤون الدولة في الإدارة والمؤسسات التابعة لها والقضاء وغير ذلك، فإنه يوضع فيها الأكفاء ممن يؤمن جانبهم وليس لهم أية سوابق أو شبهات أو اتصالات مع النظام السابق، أو مع الدول الكافرة، ومع ذلك توضع الرقابة على كافة المؤسسات حتى يتمّ التمكين، وتصبح الدولة قوية قادرة على الوقوف على أقدامها بين دول العالم الأخرى.

وأما الرجالات الذين لا يؤمن جانبهم أو توجد بحقهم شبهات في اتصالهم بالنظام السابق، أو الدول المحيطة بالدولة الإسلامية، أو الدول الكافرة، فهؤلاء يزالون ويعزلون من مناصبهم، ويحاسب منهم من ثبت في حقه مخالفات وخاصة في شؤون المال، كما سنذكر عندما نتحدث عن القضايا والرواسب القديمة من المشاكل بين الناس.

والحقيقة، إن هذه العملية في الاختيار والتطهير قد فعلها الرسول ﷺ عندما وليَ الحكم والسلطان في المدينة المنورة، فكان يختار الرجال الأكفاء ممن لهم قدم سبق في الإسلام ومناصرة الدعوة مثل أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وغيرهم، وكان يختار الأكفاء في أمور الجيش مثل خالد بن الوليد وأسامة بن زيد، ويختار كذلك الولاة والخارصين وغير ذلك من شؤون الدولة من الأكفاء الأخيار، وقد ورد في الحديث أنه عندما سأل أبو ذر رضي الله عنه الولاية رفض الرسول عليه الصلاة والسلام أن يولي أبا ذر، وقال له: «**إنك رجل ضعيف**...» مع أن أبا ذر كان تقياً نقياً أميناً حازماً في أمور الحق، لكنه كان ضعيفاً، فيه حدة لا تتناسب مع الرعاية وأحكامها.

أما الرجالات السابقون مثل (ابن سلول) وغيرهم من رجالات

كانت لهم مكانة، فقد استبعدهم الرسول ﷺ ولم يُقِمْ لهم أي وزن.

الفساد المتصل برجالات العهد السابق

لقد تحدثنا في الموضوع السابق من هذا البحث عن رجالات الدولة في الحكم والإدارة وما يتصل بها من وظائف حساسة، وعن طرق معالجتها في الواقع الفاسد القديم، وبقيت مسألة في هذا الموضوع وهي الفساد المتصل بهذه الرجالات الذي أحدثوه في جسم الدولة،وكيف يعالج هذا الفساد؟!

ولتوضيح صورة هذا الأمر ننظر إليه أيضاً من أربع زوايا:

١ـ الوظائف والمراكز والمؤسسات المخالفة للأحكام الشرعية.

٢ـ ترتيب الأمور بحيث تتفق مع الهيكلية الشرعية في بناء مؤسسات الدولة.

٣ـ المحاسبة لعمليات الفساد التي جرت أيام النظام الفاسد.

٤ـ الفساد الذي ورّثه النظام الفاسد القديم وخاصة في أمور المحاكمات والأموال.

فالأمور لا تقف عند حد تغيير الرجالات من أماكنهم وتنتهي الأمور بشكل سليم، وإنما لا بد من النظر في الفساد العريض الذي أحدثه هؤلاء الرجال ومن وراءهم من حكام وأجراء للاستعمار.

أما الأمر الأول، وهو الوظائف والمراكز والمؤسسات المخالفة للأحكام الشرعية. فهناك وظائف كثيرة ترتبط بالمفاهيم الرأسمالية ليس لها أصل شرعي، وإنما تخالف الأحكام الشرعية مثل وظيفة المخابرات التي تتجسس على أبناء المسلمين، فهذه الوظائف تُلغى نهائياً، وتغلق كافة المراكز والملاحق

والمؤسسات التابعة لها ويحاكم رجالها؛ لأنها مخالفة لحكم الشرع، قال تعالى: ﴿**وَلَا تَجَسَّسُواْ**﴾ وهناك أيضاً مؤسسات ربوية مثل البنوك، أو أماكن البورصة، أو ما شابه ذلك من مؤسسات رسمية وغير رسمية في الدولة، فيجب أن تلغى هذه المؤسسات الرسمية القائمة على أساس الربا، ويلغى الكادر الوظيفي المسمى تحت مظلّتها؛ لأنها مخالفة لأحكام الإسلام. فأي وظيفة تتناقض وتتعارض مع أحكام ديننا الحنيف تُلغى، وتلغى كافة المؤسسات التي تقوم على خدمتها.

أما الأمر الثاني وهو ترتيب الأمور بحيث تتفق مع الهيكلية الشرعية في بناء المؤسسات للدولة الإسلامية، فهذا الأمر سهل ميسور بإذن الله تعالى؛ لأن المؤهلات العلمية والقدرات العقلية موجودة في أبناء الأمة، ولا تحتاج إلا إلى عملية تنظيم وإعادة بناء بالشكل السليم، من حيث وضع هيكلية متكاملة في هذا الأمر، تبدأ من خليفة المسلمين وتنتهي بالمؤسسات الخدماتية لكافة شؤون الدولة، ويُعتمد في ذلك على الأحكام الشرعية المتصلة بهذا الموضوع.

فالمؤسسات القديمة الموروثة عن النظام السابق هي مؤسسات في أغلبها ترتبط بالنظام الرأسمالي، سواء أكان ذلك في الحكم أم الإدارة أم النواحي المالية أم العسكرية والجيش، ولا بد من إعادة ترتيب لهذه المؤسسات ولوظائفها بعد إلغاء ما يخالف منها أحكام الدين الحنيف.

والحقيقة، إن عملية الترتيب هذه قد تأخذ شيئاً من الوقت؛ لذلك يُعتمد على الكوادر التي لا تخالف الإسلام، ويؤمن جانبها حتى تتم عملية الترتيب بشكلها الصحيح، وقد يكون من الصعب تطبيق عملية الترتيب هذه دفعة واحدة؛ لأن الموضوع هنا موضوع يحتاج إلى برامج وإعدادات وكوادر

ذات خبرة كافية.

أما الأمر الثالث وهو: المحاسبة لعمليات الفساد التي جرت في عهد النظام السابق، فهذه ترجع إلى الأحكام الشرعية وإلى رأي الخليفة في بعض الأمور، فما رجع منها إلى أحكام الشرع فيجب أن يطبق دون تأخير، ولا حيد عنه لأنه أحكام واجبة التطبيق لا يجوز مخالفتها، وذلك مثل سيطرة رجالات الدولة على أموال الناس ظلماً وعدواناً، فهذا لا يجوز شرعاً لأن الله تعالى يقول: ﴿ **وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ** ﴾ [البقرة ١٨٨] والرسول ﷺ يقول: «**لا يحل مال امرئ مسلم إلا عن طيبة من نفسه**».

ومثل ذلك الوظائف غير المستحقة، أو الرواتب العالية لشخصيات معينة، فهذه كلها تخضع لعملية المحاسبة والتصحيح حسب أحكام الإسلام.

أما الأمور التي ترجع إلى رأي الخليفة مثل النظر في رجالات الدولة السابقين وفسادهم وجرائمهم، فإن هذه الأمور ترجع إلى رأي الإمام إن شاء عفا، وإن شاء عاقب، وله أن يعاقب أناساً مخصوصين، وله أن يعفو عنهم. فالرسول ﷺ عفا عن أناس أفسدوا وآذوا المسلمين، وحاسب آخرين، وحاسب بعض المسؤولين من أهل مكة وعفا عن آخرين. فهذه أمور ترجع إلى رأي الإمام، وإلى مصلحة الدولة، فقد تكون مصلحة الدولة في إبقاء الحاكم ليكشف الجرائم التي حاكها ضد أبناء الأمة، والارتباطات مع الدول الكبرى، ويكشف كذلك جرائم غيره من حكام لهم اتصال به.

أما الأمر الرابع، وهو الفساد الذي ورّثه النظام الفاسد القديم في القضايا والمحاكمات أو الأموال، فهذه النقطة تحتاج إلى شيء من البيان والتدقيق؛ لأن النظام السابق كان نظاماً رأسمالياً قائماً على الفساد في أغلب أموره، وإذا

أردت أن ترجع إلى كل أمر جرى من أمور المخالفات، فإنك تحتاج إلى وقت وجهود بحجم ما جرى من فساد. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، وهي المعتمد في هذا الأمر، إن أمور الفساد في النظام السابق لها أحكام شرعية؛ لأن الدولة الإسلامية الأولى قد مرت في مرحلة ما قبل الدولة، وجاءت إلى واقع فاسد وجدت فيه ألواناً من الفساد، وتنزّلت الأحكام الشرعية التي عالجت هذا الفساد.

ولبيان هذه المسألة ننظر إليها من عدة زوايا:

١ـ الأموال الخاصة التي جرى فيها الفساد واستهلكت وذهبت.

٢ـ الأموال الخاصة التي جرى فيها الفساد والمخالفة وما زالت موجودة.

٣ـ الأموال العامة التي جرى فيها الفساد وذهبت واستهلكت.

٤ـ الأموال العامة التي جرى فيها الفساد وما زال قائماً.

٥ـ أموال الدولة التي جرى فيها الفساد وما زال قائماً.

٦ـ المحاكمات التي جرت وذهب أثرها وعفا عليها الزمن.

٧ـ المحاكمات التي جرت ولم يُبتّ فيها حتى قيام الدولة.

٨ـ توابع القضايا التي بتّ فيها النظام السابق وما زال أثرها حتى قيام الدولة، مثل: السجون، أو الغرامات المستمرة، أو أمور الزواج العرفي والمدني وغير ذلك.

أما الأموال الخاصة التي جرى فيها الفساد واستهلكت وذهبت، فهذه تعتبر من أمر مضى وانتهى ولا تفتح ملفاتها، فلو أن رجلاً من أجهزة الحكم أو المخابرات أو غيره من أجهزة الدولة قد أخذ شيئاً من أموال الناس ظلماً واستهلك هذا المال، ولم يبق له أي أثر، فإن هذه الأموال لا يعاد البحث

فيها، وإنما يطوى أمرها، وربما يحاسب الخليفة من قام بالفساد أو النهب، ويعاقبه عقوبةً أخرى بسبب إيذائه للناس أو لحملة الدعوة أو غير ذلك من ألوان الفساد.

أما إذا كانت هذه الأموال ما زالت موجودة فأرى أن الحقّ لم يسقط لصالح صاحبها، لأن الحق ليس له علاقة في نظام جاهلية أو إسلام إن كان ما زال موجوداً. فلو أن رجلاً من أجهزة المخابرات استولى على بيت خاص لأحد الناس في عهد النظام السابق، ولم يستطع هذا الشخص تحصيله من هذا الرجل بسبب سطوته، فإن الدولة الإسلامية تعيد هذا الحق لصاحبه، ويقاس على ذلك كافة الحقوق التي ما زالت قائمة لم تستهلك. والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿ **وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ** ﴾ [البقرة ١٨٨] وقوله عليه الصلاة والسلام: «**لا يحل مال امرئ مسلم إلا عن طيبة من نفسه**» وهذا الأمر مطلق، لم يحدد زماناً ولا مكاناً في مناطه.

أما الأموال العامّة التي جرى فيها الفساد واستهلكت فإنها تطوى ولا يجري البحث فيها؛ لأنها من تبعات الجاهلية أو غياب حكم الإسلام، ولم يبحث الرسول ﷺ المظالم المالية قبل حكم الإسلام إلا ما كان منها قائماً لم يستهلك.

فالأموال العامة حكمها أنها تخصّ جميع المسلمين، وليس شخصاً واحداً فقط. فما اغتصب، أو أعطي من هذه الأموال لشخص واحد يعاد إلى أصله الشرعي في ظل حكم الإسلام. فمثلاً لو أخذ أحد رجالات الدولة قسماً من شاطئ البحر لنفسه وجعل حوله سياجاً، فهذا يُعاد إلى عامة المسلمين ويلغى الأمر السابق، كذلك لو أن رجلاً أخذ لنفسه ريع بئرٍ من

البترول، فإن هذا التسلط يلغى ويعاد البئر ومنفعته لعامة المسلمين؛ على اعتبار أنها من الأموال العامة، وهكذا كل أمر من الأموال العامة جرى فيها الغصب أو التسلط فإنه يعاد إلى أصله. والدليل على ذلك الأحاديث التي ذكرت الأموال العامة ومنافعها، وهي لم تحدد زماناً ولا مكاناً ولا أشخاصاً. فقال عليه الصلاة والسلام: «**الناس شركاء في ثلاث: الماء والكلأ والنار**» وهذا الحديث يشمل كل ما يلزم لتشغيل هذه الأمور من أدوات أو معدات أو غير ذلك، وكل ما يحقق هذا الأمر من بترول وكهرباء وغيرها...

أما المحاكمات، فالمحاكمات تقسم إلى ثلاثة أقسام: منها ما يتعلق بقضايا ما زالت موجودة، أي ما زال الظلم قائماً بسببها، كقضية قضت بفصل عقد الزواج بين رجل وزوجته مع أن كلاً منهما يريد الآخر، ولم يوجد أي سبب شرعي لذلك، فمثل هذه القضية تعاد إلى أصلها حتى وإن جرى الحكم بها ما لم تتزوج المرأة من رجل آخر. أو مثل حكم محكمة قضت بسجن رجل ظلماً لمدة سنة ولم تثبت عليه بيّنة شرعية، إنما انتزع منه الاعتراف بالقوة عن طريق التعذيب، فهذا الحكم يلغى ويعاد إلى أصله الشرعي. أو مثل حكم محكمة قضت بإقامة حمارة في مكان ما فهذا أيضاً يلغى ولا يبقى له أثر، أو مثل حكم محكمة قضت بأخذ بيت إنسان ما وضمّه لممتلكات خاصة أو لممتلكات الدولة دون أي وجه حق، فهذا الحكم ما زال أثره موجوداً ويعاد إلى أصله الشرعي ويُلغى الحكم السابق.

وهناك نوع آخر من المحاكمات والقضايا قد ذهبت ولا يوجد لها أثرٍ يتعلق بها من أموالٍ أو غيره، فهذه ينتهي أمرها، وذلك كقضايا السرقات التي حكم فيها وانتهى الحكم، أو الجنايات التي انتهت مدة محكومية

صاحبها، وكذلك محاكمات الأموال التي استهلكت وذهب أثرها، أو ذهب أصحابها ممن أخذوها، فهذه لا ينظر فيها على اعتبار أنه قد انتهى شأنها.

أما المحاكمات التي لم تنتهِ بعد. فهذه تعاد إلى أصلها الشرعي، أي إلى حكم القضاء الإسلامي، سواء ما تعلق منها بالأموال أم بالأعراض أم بالجنايات أم بغيرها. فإن كان لها تنفيذ حالي في حكم الشرع أخذنا به، وإن انتهى أمر الجناية وذهب أصحابها فإن الشرع يسقطها لانعدام توابعها وأشخاصها.

أما بالنسبة لتوابع القضايا التي حكم فيها سابقاً، وهي مخالفة في حكمها للشرع الإسلامي، مثل الزواج العرفي أو المدني أو غيره من أمور، فإن هذه التوابع تخضع لحكم الشرع إن كان فيها مخالفات شرعية، أو تلغى من أساسها إن كان حكمها الإلغاء، أو تصحّح إن كان هناك مجال للتصحيح.

هذا ما يتعلق بموضوع محاربة الواقع الفاسد القديم من ميراث النظام السابق، والحقيقة، إن طهارة الإسلام وعدله كفيل بغسل نجاسة الماضي تماماً كما يطهر ماء المطر المنهمر من السماء النجاسة من على الأرض. فعندما يعمّ حكم الله على وجه الأرض تنقلب الأمور كلها، ويعم العدل والأمن والرخاء، وينسى الناس رجس الماضي وفساده ولا يبقى له أي أثر بإذن الله تعالى. نسأله تعالى أن يمن على المسلمين بحكمه العادل، ليزيل عنهم كل أرجاس الماضي وآلامه وأخطائه.

الخاتمة

على باب الخلافة

لقد تحدثنا سابقاً عن أبرز التحدّيات التي يمكن أن تواجه دولة الخلافة الإسلامية الموعودة ـقريباً بإذنه تعالىـ وسنتحدّث الآن عن موقع الأمة الإسلامية اليوم ـوخاصة حملة الدعوةـ من هذه الخلافة الموعودة، فنقول:

لقد مكر الكفار مكراً كبيراً، زالت بسببه دولة الخلافة في بدايات القرن الماضي، قال عز وجل: ﴿وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾﴾ [إبراهيم ٤٦]، فأصيبت الأمة في قلبها، وسالت دماؤها غزيرةً بسبب هذا المصاب الجلل، وقُطّعت أوصالها واحداً بعد الآخر. ففقدتْ بسبب هذا المصاب العظيم صوابَها، وأخذت تتحرّك حركة المذبوح دونما اتجاه ولا بصيرة. وظلت هذه حالها منذ ذلك التاريخ حتى عهد قريب، عندما تبصرت في سبب جراحها، وفيمن قطّع أوصالها، فعرفت الداء ـسبب البلاءـ وأدركت الدواء الناجع الشافي، ثم بعد ذلك أخذت ترشفُ من هذا الدواء، فأخذت تتعافى من دائها يوماً بعد يوم حتى أوشكت أن تشفى تماماً. إن الأمة اليوم على أبواب الوقوف على أقدامها مرةً أخرى من كبوتها لتعود كما كانت خير أمة أخرجت للناس، في دولةٍ وسلطان، تطبّقُ حكمَ ربّها وتحمله رسالة خيرٍ وهدىً ونورٍ إلى البشرية جميعاً. وأن الله تبارك وتعالى آخذٌ بيد هذه الأمة لنصرتها إن شاء الله تعالى عمّا قريب. ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾﴾

[إبراهيم ٤٧] نعم.. لن يُخلفَ الله وعده للمسلمين العاملين، وسيوفّي لهم وعده تماماً كما وفّى وعدَه لرسوله الكريم في نصرته ونصره، وسينتقم من الكفرة ومن والاهم من حكام تآمروا معهم وخانوا أمتهم ودينهم قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ۝﴾ [غافر ٥١].

وفي هذا الموضوع سأستعرض بإذن الله تعالى وصفَ واقع الأمّة اليوم، وهي تقفُ فعلاً على باب الخلافة تمدُّ يدها بقوة لتفتحه وتدخلَ إلى كنفِ عزّه ومنعته ورفعته.

وقبل البدء في وصف هذا الواقع الحالي لإنزال ما ينطبق عليه من حكمٍ شرعي، لا بد من التذكيرِ بأهم العقبات التي تخطتها الأمة بعد جهد جهيد، وعمل متواصل، بعون الله ومناصرته وتأييده.

• إن **أولى** (العقبات) التي تخطتها الأمة في سيرها نحو باب الخلافة حتى وصلته هي إعادة الثقة بنفسها بعد أن نزعها الكفار من عقلها وقلبها، وأقنعوها أنها أمة كانت ولن تعود، ويجبُ أن تظل تبعاً للغرب مجرورةً بذيله، وموجّهةً بوجهته، وأنها أمة لا تملك من مقومات الحياةِ شيئاً لتعود كما كانت أمةً حيةً. وصدَّق هذا الكذبَ كثيرٌ من أبناء المسلمين، وخاصةً من المفكرين والكتاب المضبوعين بثقافة الغرب، فأخذوا يرددون خلف الكافر المستعمر ما يقول دون وعيٍ ولا إدراك.

لقد استطاع العاملون لإعادة الخلافة، السائرون نحو باب عزّها، أن يُعيدوا للأمة ثقتها بنفسها، وأن يعرّفوها من هي؟! و يفّهموها أن كلام الكفار كله كذب وافتراء ليس له أصل، الهدف منه إبقاء الأمة نهباً لأطماعه،

وسوقاً لمنتجاته، وخادماً أميناً لمصالحه، لا تعصي الأمة له أمراً ولا نهياً!!

فهذا إنجاز عظيم كان في بدايةِ العمل، ثم واكبه طيلة خط سير العمل الماضي عبر أكثر من خمسين عاماً من بث الروح المعنوية، وبث الفكر الصحيح في عقول الأمّة.

• العقبة (**الثانية**) التي زالت في هذه الرحلة الشاقّة المضنية، هي إعادة الاتجاه الصحيح لخط السير عند الأمّة.

فقد استطاع العاملون المخلصون وضع البوصلة أمام أعين الأمة، وتحديد الوجهة الصحيحة لسفينتها التي تتقاذفها الأمواج في وسط بحر هائج مائج مظلم ليس فيه أي شعاع من نور.

فقد كانت الأمة، فوق ما هي فيه من عدم الثقة واليأس، كانت بلا اتجاه، تحاولُ أن تتسلق أي مركبٍ لتنجوَ من الموت، ثم لا تلبث أن تغرق. فمرةً تتشبّث بالقومية، ومرةً بالوطنية، ومرةً بالاشتراكية... وهكذا كلما لاح لها شيء واقترب منها تسلقته وألقت بنفسها في أحضانه دون تمييز، حتى ولو كان ناراً حارقة، أو حفرةً مهلكة.

عند ذلك نظر المبصرون الواعون إلى حركةِ الأمة ومحاولاتها في التسلق والنجاة من الموت، فألقوا إليها حبال النجاة من الموت والغرق، لينتشلوها ويسيروا بها في زورق النجاة إلى بر الأمان لإنقاذها.

وبذلك حددت الأمة وجهتها الصحيحة في وسط بحرٍ متلاطم الأمواج، مُعتمٍ ليس فيه أي نور، وأصبحت نداً للكافر المستعمر، وأخذت تقف في وجه أفكاره ومخططاته السياسية، وركبت في زورق الإسلام الذي يسيرُ نحو باب العزّة والاستقامة والنور، بعد أن كانت تائهةً ضائعةً لا تعرف

اتجاهاً ولا طريقاً!..

• العقبة (**الثالثة**) التي تخطتها الأمة وأزالتها من طريقها هي الأفكار الهدامة والشعارات الجوفاء، ابتداءً من حركاتِ التحرّر التي ركبت مركبها لتتخلص من الاستعمار، إلى شعارات القومية والوطنية والاشتراكية وغيرها. وقد كان آخر المطافِ الاشتراكية التي ضربَها الله تعالى في رأسها وقلبها فماتت إلى غير رجعة ودُفنت تحت مزابل التاريخ.

لقد غرقت كل الزوارق والسفن التي اتخذت من هذه الشعارات والأفكار بوصلةً لاتجاهها، ومحركاً لاندفاعها وحركتها، وأخذت الأمة تلعنها، وتلعن قادتها والمروجين لأفكارها بعد أن لاقت منها الويلات والمصائب والهزائم تلو الهزائم.

• العقبة (**الرابعة**) هي المبدأ الاشتراكي العالمي الذي انتشر على معظم أنحاء المعمورة، وانبهر به كثيرٌ من أبناء المسلمين، وشكلّ قوةً في وجه الإسلام وفكره وعقيدته.

فلم يقوَ هذا المبدأُ على مواصلةِ السير وسْط الأمواج، حيث تكسّرت مجاديفهُ وتحطمت سفينته وانتقل معظم أتباعه ـ وللأسف الشديد ـ إلى سفن الرأسمالية، أو ظلوا بلا مبدأ.

فهذا المبدأ كان عقبةً كأداء تقفُ في طريق السير، ولقد لاقى المخلصون تعباً شديداً في التصدي للمروجين لفكرته، وفي بيان زيفه، والحمد لله الذي قصمه وأزاله عن وجه الأرض.

• العقبة (**الخامسة**) التي تذّللت ـ بإذنه تعالى ـ وزال خطرها من طريق الدعوة نحو باب الخلافة هي انكشاف الحكام العملاء الذين انخدعتْ الأمة

بأكاذيبهم ودجلهم السياسي، وهم يسيرونَ في طريق العمالة، ويتستّرون بالقومية والوطنية والاشتراكية وغيرها من أكاذيب سياسية وفكرية.

لقد حدثت أحداثٌ جسام في حياة المسلمين أدّت إلى انكشاف عورة هؤلاء الحكام، مثل ضياع بيت المقدس بيد يهود بمؤامرةٍ منهم ومن أسيادهم، ثم دعوتُهم للتنازل عن ثرى بيت المقدس عن طريق الصلح مع يهود. وكذلك سكوتُ حكام المسلمين على جريمة احتلال أميركا لأرض أفغانستان والعراق، وإعمالُها في رقاب المسلمين ذبحاً، وفي بلادهم خراباً ودماراً، بل مساندةُ هؤلاء الحكام العملاء لأميركا فيما سمته بحربها على الإرهاب، وهي في الحقيقة حربٌ على الإسلام وأهله من حملة الدعوة في كل أرجاء الأرض. وكذلك تقاربهم مع أعداء الأمة مثل الهندوس عن طريق حكام باكستان، ودعوتهم للمصالحة على حساب قضية كشمير المسلمة وشعبها المظلوم، وإعلان حاكم باكستان الحرب على المسلمين المجاهدين ضد أميركا وشرها وغطرستها داخل أفغانستان، وخاصة في منطقة وزيرستان وتدمير المسجد الأحمر على رؤوس المسلمين في باكستان. ومن مخازي هؤلاء الحكام أيضاً، الدعوة التي يطلقها حكام إيران للتقارب والانفتاح على الغرب بعد أن كانوا يصفونه بالشيطان الأكبر، وتنازلُهم عن بعض القيم الإسلامية التي كان يدعو لها الخميني أيام الثورة. وكذلك انكشاف قادة العمل الوطني والإسلامي، الساعين لتحرير أرض بيت المقدس من البحر إلى النهر، بعد الاتفاقات التي وقعت عن طريق الكفار وأعوان الكفار من الحكام وكان آخرها اتفاق مكة!.. وغير ذلك الكثير من مهازل هؤلاء الحكام ـصنائع الاستعمارـ الذين كشفتهم الأمة وأصبح أمرهم

واضحاً لكل ذي لبّ، وضوح الشمس في كبد السماء.

• أما العقبة **الأخيرة** التي بدأت تذوب من طريق الدعوة فهي انكشافُ أمر الديمقراطية، وحقوق الإنسان والحريات التي كان يتغنّى بها أتباع النظام الرأسمالي من الدول الغربية، ويرددها كثير من أبناء المسلين خلفهم كالببغاوات. لدرجة أن بعضاً من أبناء المسلمين كان يربط ما بين التقدم العلمي والرفاه الاقتصادي في بلاد الغرب وبين هذه الأفكار المسمومة.

لقد انكشف أمر هذه الأفكار القبيحة، وبانَ عوارها الفكري والعملي في الحياة، وأصبحَ كثير من أبناء المسلمين يدركون أكاذيبَ الغرب في إطلاقِ شعارات الديمقراطية والحرية وحقوق الإنسان، ويعرفون أهداف الغرب ومراميه الخبيثة من وراء هذه الشعارات، كما أصبحوا يدركون حقيقة الديمقراطية في بلاد الغرب، وحقيقة شعارات الحرية والمآسي التي جلبته على المجتمع الرأسمالي في أميركا ودول أوروبا.

ولا نبالغ إن قلنا إن هذه العقبة الكأداء قد أوشكت على الزوال نهائياً من طريق المسلمين، وبخاصة بعد الحروب المادية الجشعة التي تصطنعها أميركا ودول أوروبا في بلاد المسلمين.

أما الأمر الذي لا بد من ذكره قبل وصف واقع الأمة اليوم، فهو أن هناك حزباً سياسياً قائماً على مبدأ الإسلام، هو **حزب التحرير**، قد نال هذا الشرف الرفيع وهذه المكرمة الربانية السامية، بالوصول مع الأمة إلى هذا الموقع المرموق وهذه المكانة الطيبة المتقدمة، من الوقوف على باب الخلافة لدخوله، رغم المعاناة الشديدة والعقبات الكأداء. وأقصد بالأوصاف الطيبة هنا ما بذلَه الحزبُ وما قدمه عبر السنوات الخمسين الماضية في طريقه نَحو

ولوج باب الخلافة.

والحقيقة، إن هناك بعضاً من أبناء المسلمين من يتهم الحزبَ بالإخفاق في تحقيق هدفه المنشود، وهو إقامةُ الخلافة عبر خمسين عاماً من الزمان. وهذا الكلام لا يصدر إلا عن جاهل أو مثبّط للهمم أو قاصد للطعن في إخلاص الحزب وعمله.

فلقد نجح الحزبُ في السير نحو الهدف نجاحاً منقطع النظير، حيث وصل بالأمة إلى باب العزة، بعد أن كانت الأمة ضائعةً تسير نحو الهدف المحتوم، وهو الموتُ بلا رجعة. نعم لقد استطاع الحزبُ عبر خمسين سنةً من الكفاح والصراع الطويل والمرير أن ينقذ الأمة من السقوطِ في حفرة القبر الذي حفره لها الكفار، وليس ذلك فحسب بل أن يوصلها إلى مرتبةٍ يصبح الكفار يخافون معها على أنفسهم وعلى مبادئهم من السقوط في قبر الموت بسبب الإسلام السياسي، وأصبح مطلب الخلافة مطلباً جماهيرياً تحتضنه الأمة، ويتحرك الكثير من أبنائها في العديد من أقطارها لتحقيق هذا المطلب.

فعندما نتحدث عن خلافة على منهاج النبوة، وفي الوقت نفسه نتحدّث عن أمة كانت ضائعةً، ونتحدث عن قوة معادية تملك كل الامكانات المادية، فإنك تدرك عظم العمل، والإنجازِ الذي حقّقه الحزبُ والذي لا تقدرُ عليه دول بإمكاناتها ومعدّاتها، والفضل في ذلك كله لله الرحمن الرحيم.

أما الأوصاف التي التزمها الحزب وسار فيها سنواتٍ طويلة وشاقة حتى نال هذا الشرف الرفيع وهذه المكرمة العالية، فهي:

أولاً: الإخلاص لله تعالى.

فلم يضع الحزب أمام ناظريه إلا مرضاة الله سبحانه وتعالى من أول يوم، رغم حملات الإجرام التي خاضها ضده الحكام، وعملاء الحكام من المفكرين والمروّجين للثقافة المعادية للإسلام على اختلاف مشاربهم وتوجهاتهم، ورغم الإغراءات المتعددة التي عُرضت على قادة الحزب في بداية تأسيسه، وأثناء رحلة سيره.

فرغم المعاداة الصريحة والإغراءات الكثيرة ظلّ الحزب ينشدُ مرضاة الله تعالى، تماماً كما كان رسول الله ﷺ يواجه أهل مكة وهم يعرضون عليه المال ليكون أغنى العرب، وأن يزوّجوه أجمل نسائهم، وأن يجعلوه ملكاً مقابل أن يترك شتم آلهتهم، وكان يجيبهم ﷺ: ﴿ **قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦** ﴾ [الكافرون ١ـ٦].

لقد رفض الحزب التعامل مع أيٍّ من الأنظمة المجرمة من عملاء الاستعمار، ورفض أيّ منصب أو مهادنة مع دول العالم الإسلامي خلال الخمسين سنة الماضية أو يزيد.

ثانياً: النقاء والصفاء الفكري الذي امتاز به الحزبُ عن غيره من الحركات الإسلامية في العالم الإسلامي.

فقد حدّد الحزب أفكاره تحديداً دقيقاً وواضحاً، سواءٌ ما تعلّق منها بالفكرة أم بالطريقة نحو الهدف المنشود، أم ما تعلّق بغيرها من أفكار.

ووضع لذلك ثقافة مكتملة من جميع جوانبها. سواءٌ أكانت هذه الثقافة تتعلق بخط السير قبل الدولة، أم بعدها أثناء تسلّم الأمور وتطبيق

الإسلام، وما يلزم كذلك للمواجهة والتصدي للعقبات المعترضة لأي مرحلة من المراحل، قبل الدولة وبعدها.

والحقيقة، إن هذه الدقّة وهذا التحديد لم تحظ به أي جماعة أخرى في العالم الإسلامي، فمعظم الحركات في العالم الإسلامي تسير على طريق مفتوح دون تحديدٍ لا للفكرة ولا للطريقة، ولا حتى للهدف المنشود.

ثالثاً: الثبات والاستمرارية على طريق العمل نحو الهدف. وهذه نعمةٌ كبرى من الله تعالى أنعمها على هذا الحزب. فرغم مرور خمسين عاماً من الكفاح المرير، ومن التصدي للعقبات، والسجون والتعذيب والشهداء، ما زال الحزب متماسكاً ثابتاً لا تؤثر فيه الهزّات العاصفة، ولا الضربات الشديدة. بل إن الحزب يزداد تماسكاً ويزداد قوةً، وتزداد أعداده يوماً بعد يوم، وتُفتح أمامه أبوابٌ مؤصدةٌ، وتقوى أواصره، وتتسع ثقافته، وتزداد نقاءً وصفاءً ودقّةً يوماً بعد يوم.

وهذه مكرمةٌ من الله تعالى نالها الحزب بسبب إخلاصه لله سبحانه وتعالى، على عكس الحركات الأخرى التي انقسمت على نفسها في أكثر من بلد، وحتى داخل البلد الواحد، ومنها من آثر السلامة والانضمام تحت جناح الدول العميلة في العالم الإسلامي، ومنها من جانب الصواب في طريقة العمل، ما أدّى إلى وصوله إلى نقطة تراجع فيها عن كل أفكاره، وانقلب مئةً وثمانين درجة عن طريقته، كما يحصل مؤخراً.

وفي هذا المقام يحضرني قوله تعالى: ﴿ ۞ وَلَوۡ أَرَادُواْ ٱلۡخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ فَثَبَّطَهُمۡ وَقِيلَ ٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ٤٦ ﴾ [التوبة ٤٦]، وقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرًا ٤ ﴾

[الطلاق ٤]، وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢﴾ [الطلاق ٢].

فالجماعات التي لم تعدّ نفسها إعداداً صحيحاً، أو تلك التي لم تعدّ نفسها أصلاً وتركت الباب مفتوحاً، تثاقلت خطاها وقعدت في نهاية المطاف تطلبُ مناصبَ ووزاراتٍ وغير ذلك من الدنيا وزينتها، أو غيّرت كامل اتجاهها إلى اتجاه آخر.

أما **حزب التحرير** فإنه قد أعدّ العدةَ بحقّ فكرياً ومعنوياً، وبنى رجالات تلين الجبال الراسياتُ ولا يلينون، بفضل الله ومنّه.

لقد وصل الحزب بهذه الأوصاف الطيبة إلى ما وصل إليه ناشداً مرضاة ربه عز وجل، ونال ثقةَ الأمة في جميع بلاد المسلمين، حتى من لم يسرْ في طريقه لم يبخلْ بالإعراب عن تقديره وإعجابه وتأييده للفكرة والطريقة، وللمواقف المشرّفة.

والحقيقة، إن مكان الحزب الآن هو: (**الوقوف مع الأمة على باب الخلافة**)، يحاول فتحه لها، أو كسره إن أصرَّ العملاء من الحكام على الوقوف في وجه الأمةِ وتطلّعاتها نحو الهدف السامي.

ويمكن إجمال هذا الوصف لهذا الواقع في النقاط الآتية:

أولاً: الرأي العام الكاسح لفكرة الخلافة ولتطبيق أحكام الإسلام في كل بلاد المسلمين؛ فلا يوجد الآن ـ والحمد لله تعالى وحده ـ في ساحة المسلمين إلا هذه الفكرة، بعدما تحطمت كل الشعارات الأخرى مثل الوطنية والقومية والاشتراكية والديمقراطية وغيرها.

والمشاهد المحسوس أن هذه الفكرة هي الغالبة في كل المظاهراتِ والمسيراتِ، وحتى الجماعات التي تطالب بالتغيير أخذت تنادي بها ظاهراً،

وأيضاً أخذت تبرز عند الكثير من المفكرين المرموقين في العالم الإسلامي عبر وسائل الإعلام.

ثانياً: الوعي العام الذي وصلت إليه الأمّة في كثيرٍ من المناطق، وخاصة على الإسلام، وفكرة الخلافة، وطريقة تخليص الأمة من تبعية الاستعمار، ووعيها على حكامِها وعلى عملاء الغرب الفكريين، وعلى أفكارهم.

فقد وصلت الأمة في أغلب بلاد العالم الإسلامي إلى الوعي على هذه الأمور المهمّة وعياً طيباً يبشر بالخير القريب بإذنه تعالى. فلم تعد تنطلي عليها الأفكار الساقطة من ديمقراطية أو اشتراكية أو قومية.

ثالثاً: الأعداد الكبيرة التي انخرطت في العمل الحزبي في كل أنحاء العالم الإسلامي، والتي تمتاز بالإرادة الحديدية والإيمان العالي، والهمم المرتفعة، والإخلاص الخالص لله تعالى، والوعي السياسي والفكري المنقطع النظير، وقد ظهر هذا في عدة مناطق من العالم الإسلامي في وسط آسيا وتركيا وإندونيسيا والباكستان، وفي بيت المقدس ولبنان والسودان وغيرها من مناطق في العالم.

إن هذا الوصف الطيّب للواقع ليبشّر بالخير القريب والعميم، فلم يبق أمام الحزب إلا تذليل العقبة الأخيرة، وهي فتح الباب المغلق بواسطة عملاء الاستعمار من الحكام، ولولا هذه العقبة الكأداء لوصل الحزب إلى الهدف المنشود منذ سنوات.

وهذا الباب سيُفتح بإذنه تعالى أو سيُكسرُ؛ لأن الزمن ليس لصالح العملاء، والسببُ أن أفكارهم سقطتْ وأعمالهم انكشفت، والقناع الذي

وضعوه على وجوههم قد انزاح فبانت وجوهُهم الكالحة، وعوراتهم السيئة.

فمهما حاول هؤلاء العملاء المحافظة على هذا الباب مغلقاً فلن يُسعفهم الزمانُ بطولِ المقام، وخاصةً أن الأمور ضدهم تزداد يوماً بعد يوم، وإن حركة المحاولين فتح هذا الباب تزداد قوّةً وتصميماً.

وقبل أن نختم هذا الموضوع أودّ أن أعرج قليلاً على مسألةٍ مهمةٍ تتعلّق به وهي موضوع النصر والتمْكين. فهناك بعض ممن يردد مقولة إن النصر قد تأخر، وقد طال الزمان ولم يتحقق. ولا يخفى ما يراد من مثل هذه المقولات من تثبيت عوامل التثبيط عند الأمة، وعند حملة الدعوة.

ولبيان هذا الأمر أقول إن على الحزب أن يترسم طريقة الرسول ﷺ في الدعوة لإقامة الخلافة الراشدة، وأن يتأسى بها تمام التأسي، ويبقى أمر النصر بيد الله وحده ـونقصد بالنصر هنا التمكين والاستخلاف في الأرضـ ولا يعلم حقيقة متى يأتي النصر، وأين يأتي، إلا الله وحده؛ لأنه متعلق بإرادته ومشيئته سبحانه وحده، ويمكن أن يؤخر الله تعالى عن الفئةِ العاملةِ المؤمنةِ التمكين في الأرض لغايةٍ طيبة أخرى وهي الابتلاء والامتحان والاختبار، قال تعالى: ﴿ **أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣** ﴾ [العنكبوت ٢ـ٣]، أو قد يكون الأمرُ خيراً للدعوةِ وللأجواء والعاملين فيها. فهذه أمورٌ لا يعلمها إلا الله تبارك وتعالى، ولكنها خيرٌ للدعوة وليست شرّاً، حتى وإن كانت اختبارا أو تهيئةً للأجواء، فعلى كل الوجوه فإن الأمر يكون خيراً، وهو ليس تأخيراً ولا تقديماً بالنسبة لتقديراتنا؛ لأننا لا نعلم الموعد المضروب لذلك، وإنما هو حصراً عند الله تعالى.

فهناك أمران مهمان في هذا الموضوع:

الأول: إن طول مدة الدعوة أو قصرها قبل قيام الدولة هو لصالح الدعوة حتماً، سواء أتحقق منه تبيّن الصدق بعد الابتلاء، أم تحقق منه تهيئة الأجواء، وإزالة العقبات الكبرى.

الثاني: إن التمكين حتماً سيتحقق لمن يستحقه في الزمان والمكان اللذين يحددهما المولى عز وجل لحملة الدعوة، وإن طول الزمن أو قِصره في ذلك ليس له أي دلالة على عدم استقامة الدعوة أو نقاء أفكارها.

فقد جاء صحابة رسول الله ﷺ وهم خيرُ البشر، ومعهم خيرة الناس جاءوا للرسول عليه الصلاة والسلام، وطلبوا منه أن يدعو لهم الله بتعجيل الفرج بالتمكين والاستخلاف... فطمأنهم الرسول عليه الصلاة والسلام أن الأمر سيتحقق طال الزمان أو قصر، قائلاً لهم أيضاً إنهم يستعجلون. أي أنهم يستعجلون أمراً سيحققه الله تعالى في الزمان والمكان الطيّب للدعوة ولحملتها من الصحابة.

فالصحابة ـحتماًـ كانوا يستحقون النصر في ذلك الوقت، وقد تحققت فيهم شروطه لأنهم خير القرون، وشهد لهم رب العزّة بالاستقامة، ولكن الأمر ارتبط بأشياء أخرى خفيت عن الصحابة، وفعلاً كانت هذه الأمور خيراً للدعوة وللصحابة. فقد نال الصحابة الأجر الكبير بالصبر، وتهيّأت أجواء الدعوة، وسقطتْ شعاراتٌ وأفكار من أفكار الجاهلية خلال هذه الفترة، وزاد عدد المؤمنين الجدد. ثم كانت الفرحة الكبرى بنصر لم يفكر به الصحابة ولم يتوقّعوه بهذا الحجم، حيث كان في المدينة المنورة أرض المنعة والتمكين الطيبة، وموطن الرجال الأخيار!!

واليوم فإن طول الزمان منذ بداية الدعوة هو خيرٌ للدعوة في كل الميادين. فمن ينظر إلى التقدم الكبير الذي أحرزه الحزب في تركيا ووسط آسيا على وجه الخصوص يرى أنه وجد في السنواتِ العشرة الأخيرة، ومن ينظر كذلك إلى هذه السنوات الأخيرة، يرى أن أجواء الدعوة قد تألّقتْ بشكل لافت للنظر، حتى على مستوى نظرة الكفار إليها. والسبب هو سقوطُ شعاراتِ الحكام العملاء ممن يقفونَ في وجه الحزب وأفكاره، وسقوط شعارات الرأسمالية، بعد أن سقطتْ الاشتراكية كمبدأ، فهذا كله من المبشّرات التي تؤشّر إلى قرب الفرج بإذنه تعالى.

وأخيراً أقول: إن الحزب قد وصلَ بابَ الخلافة قوّياً متماسكاً صريحاً متحدياً. بعدما تخطّى كل العقبات والهزات العظام، وهو ينتظرُ الإذن من الله عزّ وجلّ لا من غيره، بالدخول ليتسلّم زمام الأمر، ويحملَ أمانة وحي السماء، تماماً كما حملها رسول الله ﷺ ومعه خيرة البشر من الناس في المدينة المنورة، وإن حال حملة الدعوة اليوم هي تماماً كحال خباب وبلال وغيرهم حين جاءوا رسول الله ﷺ يطلبون منه ﷺ الدعاء بتعجيل الفرج!.. فنسأله تعالى أن يعجّل بالفرج في القريب العاجل، بعد مضيّ خمسةٍ وخمسين عاماً هجرياً من العمل الطيّب المخلص من حملة الدعوة، ليتحقّق وعده تعالى الذي وعد به المؤمنين من صحابة رسول الله ﷺ ومن يأتي بعدهم من المخلصين، في سورة النور بقوله ﴿ **وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ**

ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور ٥٥] أي كما استخلف الصحابة رضوان الله عليهم.

نسأل الله تعالى أن يبزغَ نورُ دولة الإسلام، دولة الخلافة الإسلامية الراشدة الثانية، وأن ينتشرَ ضياؤُها على وجه الأرض، وأن تستأنف الحياة الإسلامية، وأن ينتشرَ العدلُ وتعمَّ الرحمةُ بين البشر نتيجةً لعودة الخلافة بعد انقطاعها.

قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾﴾ [غافر ٥١]، وقال: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [القصص ٥-٦]، ويقول: ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾﴾ [آل عمران ١٢٦]، ويقول: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾﴾ [الإسراء ٥١].

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

حمد فهمي طبيب

١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

الفهرس

تمهيد ٣

الإهداء ٤

مقدمة ٥

التحديات الخارجية (١١ ـ ٧٤)

أولاً: الحرب المادية ١١

- أشكال الحرب المادية ١٤
- طرق التصدي والصمود في وجه الحرب المادية ١٨

ثانياً: سياسة التشويه والتضليل (الحرب الفكرية) ٣٥

- تشويه صورة الدولة الإسلامية ٣٧
- طرق التصدي للصور التضليلية ٤٥
- قلب الحقائق التاريخية وطرق التصدي لها ٥١

ثالثاً: الحصار بأنواعه الثلاثة: السياسي، الاقتصادي، الفكري ٥٧

- الحصار: تعريفه ـ وسائله وأساليبه ـ مسوغاته وأهدافه ـ خطوات التصدي له ٥٧
- طرق التصدي للحصار ٦٥

التحديات الداخلية (٧٥ ـ ١١٢)

أولاً: التعبئة الفكرية والمعنوية ٧٥

ثانياً: قلة الموارد والإمكانات مقارنةً مع حجم التحديات .. ٨١
ثالثاً: التطبيق الانقلابي للإسلام ٨٧
رابعاً: محاربة الواقع الفاسد القديم ٩٤
١ـ التعليم والمناهج **٩٥**
٢ـ الإعلام والقائمون عليه **٩٦**
٣ـ النقد ونظام العملات **٩٨**
٤ـ الشخصيات الإدارية وأصحاب الوظائف الحساسة **١٠٣**

الخاتمة

على باب الخلافة ١١٣
الفهرس ١٢٨